

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف المسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي



جامعة محمد بوضياف - المسيلة
Université Mohamed Boudiaf - M'sila

الرقم التسلسلي:.....

رقم التسجيل ط1: 01476148

رقم التسجيل ط2: 1435102503

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر أدب حديث ومعاصر

بعنوان:

المكان في شعر فدوى طوقان
ديوان "الليل والفرسان" أنموذجا

إعداد الطالبتان:

- نقاز ليلي

- نقاز نبيلة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الصفة	الجامعة	الرتبة	اسم واللقب
رئيسا	جامعة المسيلة	أستاذ محاضر أ	زلاقي ابراهيم
مشرفا ومقررا	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد أ	جادي عمر
مناقشا	جامعة المسيلة	أستاذ مساعد ب	هني لخضر

السنة الجامعية: 1439-1440 هـ / 2018-2019م

شكر وعرفان

نشكر الله العلي القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين

القائل في محكم التنزيل "وفوق كل ذي علم عليم".

وقال الرسول (ص) "من صنع إليكم معروفا فكافئوه فان لم

تجدوا ما تكافئونه به فادعوا له حتى تروا أنكم كافتموه"

وفاء وتقديرا منا بالجميل نتقدم بجزيل الشكر لأولئك المخلصين

الذين لم يدخروا جهدا في مساعدتنا، ونخص بالذكر الأستاذ

جادي عمر الذي لم يبخل علينا بنصائحه القيمة لإنجاز هذا البحث

دون أن ننسى اللجنة المشرفة على تصحيح هذا العمل ليخرج إلى

النور في أبهى حلة لهم فائق الشكر والتقدير.

كما نتقدم بالشكر الجزيل إلى أساتذة قسم اللغة والأدب العربي

الذين رافقونا طيلة مشوارنا الدراسي.

مقدمة

مقدمة

إن الدور الذي يؤديه المكان له حضور قوي وفاعل في النفس الإنسانية ، لأنه يرتبط بوعي الإنسان منذ نعومة أظافره، فيختزن في ذاكرته أشياء كثيرة من العواطف والذكريات الايجابية والسلبية كيف لا وهو المكان الذي نشأ فيه وتربى في ربوعه وتعلق به وجدانيا وفكريا، وبالتالي يبقى حاضرا في مخزونه الذهني الكثير من المشاعر والذكريات التي تبقى خالدة في ذاكرته ،سواء أكانت تعيسة أم سعيدة ليقوم فيما بعد بترجمتها في قوالب فنية بطريقته الخاصة وبالتالي يمكننا أن نقول أن الإنسان ابن بيئته يؤثر ويتأثر، وينفعل بها وبكل ما يحيط بها .

ولا شك أن علاقة الإنسان بالمكان علاقة تأثير متبادل، فالإنسان يمارس فاعليته فيه، بل ويغير من طبيعته في كثير من الأحيان ثم يعود المكان فيمارس تأثيره على الانسان في دورة لا تنتهي من التأثير والتبادل.

ويشكل المكان هاجسا قويا لدى الكثير من الشعراء، فهو لا يمثل ذلك البعد الجغرافي والهندسي فحسب، إنما أصبح يمثل قضية وجزء من حياة الإنسان، ولقد أخذ الحديث عنه في الشعر العربي أبعادا مختلفة بحسب زوايا الرؤيا التي عالجت من جهة، وبحسب الفهم الذي أنيط به من جهة ثانية وبحسب المعارف الرافدة التي تؤثت الدراسة، وكل مقارنة للمكان من هذا المنازع إنما قدمت نتائجها الدقيقة التي أعطت للمكان ثقله الفني في البناء الشعري شكلا ومضمونا.

فالمكان في صلته بالذات المبدعة والمتلقية يقتضي تجنيد سائر المعارف التي تنتجها العلوم الإنسانية لفك ألغازه، حتى نفضي إلى الحقيقة التي من أجلها سيق المكان في الشعر موضوعا أو صورة أو رمزا.

إن المكان ما هو إلا انعكاس للزمن وانعكاس للذاكرة الجمعية التي أضفت صفة القداسة على المكان، بحكم انتمائها العقائدي، فبين تاريخ الشعر وتاريخ المكان علاقة أبدية ترسم

مؤثرات الهوية العربية القلقة في ظل استيلاء الذات وهاجس البحث عن الهوية الشعرية، وبذلك فهو عبارة عن هوية تاريخية ماثلة للعيان.

ومنه فاستحضار الشاعرة فدوى طوقان للمكان الفلسطيني ليس بوصفه قطعه جغرافية مادية وإنما تستحضره بوصفه تاريخا حيا ينبض في سيرورة الأجيال صادحا بأصوات الماضي فهذا الإرث المكاني مشاع لكل عربي مسلم ومن ثم يصبح استلابه هما جماعيا مفردا في صيغه الجمع. فالالتزام بقضية فلسطين هو إنكفاء لروح المقاومة الفلسطينية من أجل تحرير الوطن / المكان وتعميق آليات الوعي والفهم لهذه الأمم في وجدان الشاعرة والأمة العربية الإسلامية ولو بالقلم وذلك أضعف الإيمان.

لقد برعت فدوى في نظم أشعار تتناول العديد من الأمكنة وإعطائها دلالات قد تكون معادلا موضوعيا لما يجري في واقعها المعيش، الأمر الذي أظهر لنا أهمية المكان بالنسبة للشاعر الفلسطيني.

وما دفعنا لاختيار هذا الموضوع أولا : هو التعرف على الشاعرة فدوى طوقان أكثر والتوغل إلى عالمها من خلال تحليل أشعارها المتعلقة بالمكان، وكذلك إبراز دور المرأة في معركة النضال الوطني والسياسي من خلال ديوان "الليل والفرسان" خاصة أنها كانت شاعرة ملتزمة بالوطن والقضية.

وثانيا: أن المكان هو محور القضية الفلسطينية وجوهر الصراع فيها بين العرب والحركة الصهيونية.

وثالثا : أن شعر المكان يقف شاهدا بقوة دلالاته على أصالة روح المقاومة وفحواها في شعر الأرض المحتلة.

ومن خلال هذا يمكننا طرح السؤال الآتي :

- ماذا يمثل المكان للشاعرة فدوى طوقان وكيف وظفته في شعرها؟

ومنه انطلقنا من مجموعة أسئلة جزئية أهمها :

- كيف تشكلت أبعاد المكان ومستوياته في شعرها؟
- ما دلالة الأماكن الموظفة وماهي آثارها على نفسية الشاعرة؟
- ما أهم ما تطرقت إليه في ديوانها؟
- وهل وفقت الشاعرة في اختيار اللغة المناسبة لذلك؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة تم تقسيم خطة البحث إل مقدمة ومدخل وفصلين وخاتمة.

المقدمة : وتضمنت موضوع البحث وأسباب اختيار الموضوع والإشكالية والمنهج المتبع وخطة الدراسة.

المدخل : وتناولنا فيه المكان في الشعر الفلسطيني بصفة عامة تمهيدا للموضوع.

- الفصل الأول: (نظري) جاء بعنوان ماهية المكان وحضوره في النص الشعري، وتناولنا فيه بعض المفاهيم الأساسية للمكان (لغة واصطلاحا، فلسفيا، نقديا، أدبيا)، كذلك أهمية المكان، جدلية المكان والزمان، المكان والهوية، مستويات وأبعاد المكان بنية المكان.

- الفصل الثاني كان (تطبيقيا) جاء بعنوان تجليات المكان في شعر فدوى طوقان، تناولنا فيه مستويات المكان (الأماكن المفتوحة والمغلقة) وكذلك أبعاد المكان (البعد النفسي والاجتماعي، البعد الوطني والسياسي، البعد التاريخي والديني) ثم تطرقنا إلى ملامح المكان في شعرها وذلك بإبراز الطلل في شعرها وعلاقة المكان بالموروث الثقافي وكان لا بد لنا أن نتطرق بعد ذلك إلى علاقة المكان باللغة الشعرية، والمعجم الشعري عند الشاعرة..

- الخاتمة: كانت عبارة عن خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا.

ولإنجاز هذا البحث اعتمدنا المنهج الوصفي التحليلي الملائم لهذه الدراسة واعتمدنا كذلك على مجموعه من المصادر والمراجع أهمها : الديوان (الأعمال الكاملة لفدوى طوقان)

جماليات المكان لغاستون باشلار، وشعرية الفضاء السردي لحسن نجمي، فدوى طوقان شعر والتزام لغريد الشيخ ...

وكما هو معروف لا يخلو أي بحث من صعوبات تعترضه خاصة أنه لم تتوفر لدينا دراسات حديثة لديوان الشاعرة. ومن المشاكل التي اعترضتنا في البحث هي تصنيف القصائد التي تخدم البحث إذ هناك مجموعة من القصائد لم نر فيها سوى إشارات بسيطة لا تكاد ترسم صورة واضحة.

ورغم كل هذا يمكننا أن نقول إن هذا البحث مجرد تجربة تنتظر الكثير من الإضافات وهي تجربة أمدتنا بالكثير من الأفكار جعلتنا نكتشف ذاتنا من خلال تكوين فكرة عن الآخر. ولا يسعنا في الأخير إلا أن نشكر الأستاذ جادي عمر على مساعدته ونصائحه القيمة لناله فائق التقدير والاحترام وأخيرا وليس آخرا، نتمنى من الله عز وجل أن يثمر جهدنا هذا بالنجاح والتوفيق.

مدخل

المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر

مدخل:

المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر:

لقد اهتم الشعر الفلسطيني المعاصر بالمكان اهتماما فائقا، لأن الأساس في الصراع القائم بين الفلسطيني و الصهيوني كان و مازال يحوم حول المكان و الأرض ، وبعدها المكان في الشعر الفلسطيني أحد أهم الخصائص البنيوية في القصيدة و مكون من مكونات النص الشعري الفلسطيني، ولذلك عمد الشعراء الفلسطينيون إلى صياغة الأماكن و المعالم المحتملة بصور مثالية إنسانية متجاوزين بذلك الأماكن الجغرافية المجردة لكونها تشكيلا روحيا و وجدانيا يزخر بالحياة والنشاط ، فاستتبقوا هذه الأمكنة ، و تناولوا أحداثها و تاريخها من خلال أشعارهم و كانت هذه الأمكنة متنفسا لهم و تعويضا عن افتقادهم لوطنهم.

ولقد عني شعراء المقاومة الفلسطينية في أشعارهم عناية فائقة بالأرض الفلسطينية و المكان الفلسطيني، إدراكا منهم أن جوهر الصراع العربي الصهيوني هو صراع على الأرض لذلك " أصبح الوطن لدى بعضهم هو كل الشعر"¹

وينطلق المبدع فيما يكتب من موقع جغرافي خاص به، اكتسب هذا الموقع لديه سمات خاصة تميزه عن غيره من المواقع والأماكن، لأنه غالبا ما يرتبط المبدع بعلاقات حميمة بالمكان الذي نشأ فيه وترعرع وتنعكس هذه العلاقات فيما يبديع، كما يؤثر المكان فيه في خطاب المبدع ، فالمكان بجمالياته ودلالاته وإيحاءاته وإيماءاته هو من أهم العناصر التي تسهم اسهاما كبيرا في تشكيل العمل الإبداعي ونسجه وبنائه " إن القضية أو الأرض

¹ شاعر النابلسي : مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1984 ص146

أو الأماكن، مهما كان تنوع بنياتها اللغوية تصل المفاتيح الهامة التي تفك مغاليق الارتباط بين تاريخ فلسطين وتاريخ الشعر الفلسطيني سواء كان داخل الأرض المحتلة أو في الشتات، ومن ثم فإن التاريخي والشعري يتداخلان إلى درجة أن يحيل أحدهما على الآخر¹

" ويستمد الشاعر صورته الشعرية مما يمكن تمثله قائما في المكان، ويجعل للمكان نسقا خاصا به ومن خلال تصويره للمكان الذي أحبه وأقام فيه، يعكس نفسيته ويكشف عن دواخلها واتجاهاتها وانتماءاتها، فلا غنى للقصيدة عن المكان، فهي من دونه تفقد خصوصيتها، والقصيدة بنية زمنية ومكانية حتى إن لغة القصيدة " وان كانت زمانية أو مكانية في طبيعتها تحمل دلالات مكانية، فحين يستخدم الشاعر اللغة أداة للتعبير عن المكان إنما يقوم بعملية مزدوجة في وقت واحد انه يشكل بين الزمان والمكان معا، بنية ذات دلالة "2

فالأمكنة ليست رقعا جغرافية مجردة في حدودها ولكنها عناوين تختزل مشاهد تاريخ الشاعر المتشكل من الغربة واصطراع الهموم داخله.

" إن الثورية تحمل في طبيعتها مفهوم الحركة والتغيير المستمر، بل إنها تحمل في جوهرها حركة الزمن الممتدة إلى المستقبل، لكنها حركة ترتبط في علاقاتها بالمكان، فالحديث عن الشعر الفلسطيني ليس مجرد نسبة هذا الشعر لجغرافيا المكان بل إنه يرتبط بالضرورة بالعلاقات المكانية المختلفة"³

¹ جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، رساله دكتوراء، جامعه، مسيلة، 2008، ص29

² عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للآداب، دار العودة، د ط، بيروت دت، ص58

³ المرجع السابق ش30

ومنه فقد اتجهت أشعار المقاومة داخل إطار من الواقعية الثورية إلى حنين حزين وإحساس مأساوي سلبي، فقد أصبحت هوية الشاعر كعربي أو فلسطيني فقد أرضه اسما بلا لقب ولم يعد له شيئاً أو حقا في هذه الأرض.

فلم يتخلف الشعر عن مواكبة القضية، بل قام بدور فعال في كشف نوايا العدو الصهيوني وتنمية الرأي العام بخطورة الأوضاع والمشروع الاستيطاني والربط المحكم بين الاستعمار المغتصب للأرض والصهيونية، ولعب دوره في البناء النفسي للمواطن العربي الفلسطيني، فغرس في نفسه قوة الإصرار وروح التحدي وأشعل جذوة الحماسة لتحقيق الآمال وخلق التحدي، لأنه بفقدان الأرض تفقد الهوية.

وحقيقة الأمر أن معظم الشعراء الفلسطينيين المعاصرين مثل محمود درويش وسميح القاسم وعز الدين المناصرة وأحمد دحبور وفدوى طوقان ... قد أدركوا جميعهم أن الأرض/ المكان هي جوهر قضيتهم وحياتهم، وهي لب الصراع مع العدو فالإحساس بالمكان " يزداد تجدرا وعمقا إذا ما تعرض المكان للخطر أو الضياع أو الانصهار"¹ لذلك فلا غرابة أن نجد فلسطين بمدنها وقراها محورا مهما من محاور الكون، تتخذ لنفسها صورا شتى في قصائد الشعراء.

إن شعرية النص ليست من شرعية المكان وجماله المادي ومجد تاريخه، وإنما يستمد شعريته عندما يصبح امتدادا للقيم الروحية التي نعيشها ونحيا بها ويصبح المكان والإنسان في الحياة الدنيا توأما يكمل بعضهما البعض، كلاهما يأخذ من الآخر ويعطيه ليكونا في النهاية نظرة شمولية لمعنى الحياة"²

¹ حاتم الصكر واعتدال عثمان :الشعر ومتغيرات المرحلة، وزارة الثقافة والإعلام ، بغداد ، ط1 سنة، 1989 آ ص51

² أسماء شاهين : جماليات المكان في روايات جبرا إبراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، ط2000، 1، ص19

فالمكان يكتسب أهمية كبيرة لأنه يثير في النفس الكثير من الأحاسيس والانفعالات، فقد سجل الإنسان عليّة ثقافته وفكره وفنونه ومخاوفه وآماله وأسراره وكل ما يتصل به، ولذا يعد المكان بالنسبة للإنسان جسدا وروحا وهو عالمه الأول.

الفصل الأول

ماهية المكان وحضوره في
النص الشعري

1/ ماهية المكان:

كثيرا هي العلوم التي تناولت المكان، وكانت بمثابة المفتاح الذي فتح باب مفاهيم المكان المتعددة، وما إن دخل المكان عالم الأدب بشعره ونثره حتى صار محور اهتمام ودراسة، وغدا شيئا أعمق يحمله الأديب مكوناته الداخلية ليطلقها من عقالها وبعيد تركيبها من جديد.

أولا - مفهوم المكان لغة واصطلاحا:

1- لغة: ننطلق من القران الكريم في محاولة للوقوف على مفهوم هذا المصطلح لغويا وقد وردت في ثمانية وعشرين موضعا تحمل دلالات ومعان متعددة، منها ما يلي:
 منها ما يدور حول معنى (الموضع) أو (المحل) كقوله تعالى: " وَأذْكَرٌ فِي الْكِتَابِ مَرِيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا" أي موضعا أو محلا¹.

ومنها ما جاء بمعنى (بدل) مثل "قوله تعالى: " قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ " هنا (مكانه) تعني بدلا منه².

بينما وردت في مواضيع أخرى بمعنى " (منزلة)، كما في قوله تعالى >> قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ وَإِمَّا السَّاعَةَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا <<³ وتعني شر مكانا أي منزلة.

وبذلك فإن (الموضع أو المحل، وبدلا منه، ومنزلة) هي من أبرز المعاني المذكورة للمكان في القرآن الكريم "كما ورد لفظ المكان في السنة في صحيح مسلم عن جابر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إن الشيطان إذا سمع النداء بالصلاة

¹ القرآن الكريم: برواية ورش، عن الإمام نافع، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت 2001 سورة مريم، الآية 16

² سورة يوسف: الآية 78

³ سورة مريم: الآية: 75.

ذهب حتى يكون مكان الرّوحاء، قال سليمان: فسألته عن الرّوحاء فقال: هي من المدينة ستة وثلاثون ميلا وفي حديث أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: "يا ليتني مكانه" أخرجه البخاري"¹.

ويرتبط فعل الكون بالخلق والوجود، وتجد هذا واضحا في قوله تعالى >> إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ<<. كذلك وردت في قوله: >> وَاسْتَمَعَ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ<<² وقد جاءت هذه اللفظة مجازا بمعنى "منزلة"³ في عدة آيات من القرآن الكريم وفي قوله تعالى: >> وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا<<⁴.

ونجد أن مصطلح المكان من خلال هذه المفاهيم ذو دلالات متشابهة ترمي إلى معنى واحد وهو الموضع المشغول.

- المكان في المعاجم اللغوية العربية:

أما في المعاجم اللغوية فقد وردت كلمة مكان بمعان مختلفة نذكر منها:

- ورد عند "ابن منظور" لغة: المكان والمكانة واحد التهذيب: الليث: مكان في أصل تقدير الفعل مَفْعَلٌ، لأنه موضع لكيونة الشيء فيه، غير أنه لما كثر أجروه في التصريف مجرى فعال فقالوا: مكنا له وقد تمكن وليس هذا بأعجب من تمسكن من المسكن، قال:

¹ علي بن سلطان محمد القاري ، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة ، دار الفكر ، سنة 1422هـ/2002م د.ط.ج 9 الفصل الثالث ، الحاشية رقم 01.

² سورة ق: الآية 41 .

³ ينظر ، مجمع اللغة العربية، معجم الألفاظ القرآن الكريم، الهيئة المصرية العامة، ط2، 1989، ص544

⁴ سورة مريم :الآية 57.

والدليل على أن المكان مفعول أن العرب لا تقول في معنى هو من مكان كذا وكذا لا مفعول كذا وكذا بالنصب¹.

- ابن سيده: المكان الموضع، والجمع أمكنه كقذال وأقذلة، وأماكن جمع الجمع قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك، وأقعد مقعدك، فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه².

- ورد في قاموس المحيط : المكان: الموضع ج: أمكنة وأماكن³.

- ومعجم تاج العروس الذي أعطى تأويلاً لغويًا للمكان، بالتحديد في باب الميم فصل النون، المكان الموضع الحاوي للشيء، وعند بعض المتكلمين هو عرض واجتماع جسمين حاو ومحوى، فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين وليس هذا المعروف في اللغة قال الراغب (ج أمكنة) كقذال وأقذلة وأماكن جمع الجمع...⁴

كما ورد في معجم "المنجد" : " المكان هو الموضع، وهو مصدر فعل الكينونة وهو مفعول من كون فنقول مكان جريمة أو مكان لقاء... (وهو من العلم بمكان) أي له فيه مقدرة ومنزلة. (وهذا مكان هذا أي بدله...)⁵.

¹ ابن منظور: لسان العرب دار صادر بيروت د.ط 1997 ص4250-4251

² المرجع نفسه: ص4250-4251.

³ العلامة اللغويّ مجد الدين محمد بين يعقوب الفيروز آبادي: قاموس المحيط، دار الصادر بيروت لبنان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة، ص1235.

⁴ السيد محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار الصادر، ج9، بيروت - لبنان، ص 348-349.

⁵ أنطوان نعمة وآخرون: المنجد في اللغة العربية المعاصرة (مادة، مكن)، دار المشرق بيروت لبنان ط1، 2000 ص 1351.

وفي مختار الصحاح للرازي: (المكانة، المنزلة، وفلان "مكين" عند فلان أي بين مكانة) والمكان والمكانة الموضع" ¹

وفي المعجم الفلسفي: " المكان الموضع وجمع أمكنة وهو المحل "Lieu" المحدد الذي يشغله الجسم تقول مكانا فسيحا ومكانا ضيقا وهو مرادف للامتداد "Etendue"²

2/ اصطلاحا:

- مفهوم المكان فلسفيا:

للمكان كثير من الدلالات عند الفلاسفة العرب نذكر منهم :

- "الفارابي" أعطى تصورا للمكان في المسألة الرابعة عشرة من مؤلفة "رسالة عيون المسائل" فالمكان هو: "سطح الجسم الحاوي وسطح الجسم المحوي يسمى مكانا وليس للفراغ وجود..."³

- ابن سينا: يعرف المكان أنه " السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للسطح الظاهر من الجسم المحوى"⁴.

- وأما "ابن رشد" جاء بمصطلح الجهة كمقابل للمكان مع نفيه للجسمية، وتعزز المعتزلة التصور الخاص بالمكان القائل في مسألة استحالة الجهة: " البارئ لا في مكان بل هو على ما يرام لم يزل عليه، وهو قول هشام الغوطي وعباد بن سلمان وأبي زفر ... وغيرهم من

¹ الرازي محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح، تخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، ط2، اليمامة للطباعة والنشر، السعودية 1987، ص370.

² جميل صليبا : المعجم الفلسفي، الشركة العالمية للكتاب، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي، لبنان، 1999، ص412.

³ فوزي عطوي: الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة، دار الفكر العربي، ط1، بيروت- لبنان-، 2002، ص39

⁴ محمد العاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، در المعارف، ط2، القاهرة، مصر 2002، ص276

المعتزلة. إن إجماعهم معقود على نفي الجهة والتحيز والمكان المستلزم للجسمية التي تنافي التنزيه والتوحيد"¹

كما نجد أن "أبا حامد الغزالي" يقف على فكرة المكان موقف الفلاسفة الذين سبقوه في قوله: أن المكان عبارة عن سطح الجسم الحاوي، أعني سطح الباطن المماس للمحوي"²

ويقر "الرازي" بوجود الخلاء، ويعتبر وجوده ممكناً، فيخالف بهذا الرأي "أرسطو" ومن الفلاسفة العرب وعموماً ينشأ مفهوم المكان مع الفلسفة اليونانية وأخذ مفهومه معنى يختلف عن غيره من المفاهيم كالزمان، الحركة، الجسم الطبيعي وكان "أفلاطون" واضعاً أول مفهوم اصطلاحي للمكان، إلا أن الفلاسفة الذين جاءوا بعده اختلفوا في تحديد مفهومه نظراً لاختلاف المنطلقات التي تصدر عن أبحاثهم³.

كما ورد المكان عند (علي بن محمد الجرجاني) (ت 816هـ) في كتابه "التعريفات" في قوله " المكان عند الفلاسفة هو السطح الباطن من الجسم الحاوي المماس للظاهر من الجسم المحوى ، وعند المتكلمين هو الفراغ المتوهم الذي يشغله وينفذ أبعاده"⁴.

أما ابن الهيثم (ت 340هـ) فقد نظر إلى المكان بأنه " النهايات المحيطة بالجسم الطبيعي كما عده بعداً متخيلاً يحيط بالجسم، تكون أبعاده وأبعاد الجسم واحدة"⁵

¹ محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشروق، ط2، القاهرة مصر 1988، ص56

² باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث، أريد، الأردن، ط1 2008 ص173

³ ينظر: حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار شؤون الثقافة العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق، ط1، 1987، ص27-28.

⁴ الجرجاني علي بن محمد: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، ط، 1985 ص344-345

⁵ شلاش غيداء احمد سعدون: المكان والمصطلحات المقارنة له دراسة مفهوماتية، مجلة الأبحاث، كلية التربية الأساسية، بغداد، المجلد 11 (العدد2) 2011، ص 247.

وأول من وضع تعريفاً للمكان اصطلاحاً (أفلاطون) في الفكر الفلسفي القديم، "هو الحاوي للموجودات المتكاثرة ومحل التغيير والحركة في العالم المحسوس عالم الظواهر غير الحقيقي"¹ وكذلك قال: هو الحاوي والقابل للأشياء² ومنه عد هذا التعريف الاصطلاحي للمكان هو حجر الأساس واللبنة الأولى في تحديد ماهية المكان.

أما المكان عند "أرسطو" فهو موجود حيث يوجد الجسم يمكن أن ينتقل عنه ويشغل محله جسم آخر، وعلى هذا فالمكان يختلف عن أي شيء يتحيز فيه"³

أما ديكرت فقد اختلفت نظريته عن أرسطو وأفلاطون فيرى "أن المكان هو فكرة فطرية من أفكار العقل، فإن لم تكن لدينا الأفكار المسبقة الفطرية عن الدوائر والمثلثات فإننا لن نكتشفها أبداً ولن نعرفها في عالم الخبرة الحسية أو العالم الخارجي"⁴.

ونيوتن يفرق بين مكانين أولهما المكان النسبي هو عبارة عن بعد متحرك أو واسطة للأماكن المطلقة التي تحددها حواسنا بواسطة وضعها بالنسبة إلى الأجسام، يكون مكانها منتقلاً أحياناً، وثابتاً أحياناً⁵.

أما المكان الثاني فهو المكان المطلق عند أرسطو المكان المطلق في طبيعته الخاصة به، ويبقى دائماً مشابهاً لنفسه وثابتاً غير متحرك"⁶ من الملاحظ أن نيوتن خالف

¹ محمد علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د، ط 1989، ص 96

² بدوي عبد الرحمان: مدخل جديد إلى الفلسفة، وكالة المطبوعات، الكويت، د، ط 1979، ص 196

³ بدوي عبد الرحمان موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط 1. ج 2 1984 هـ، ص 461

⁴ محمد علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة ص 175

⁵ بدوي عبد الرحمان: موسوعة الفلسفة ص 462

⁶ المرجع نفسه: ص 463.

أفلاطون في تعريف المكان، حيث يرى أن المكان غير حقيقي وحاوي للموجودات، على عكس نيوتن يرى المكان مستقلا وجدت أم لم تتواجد فيه أشياء.

أما كانط يرى "أن المكان امتثال ضروري قبلي، يقوم أساسا لكل العيانات الخارجية فلا يكن تصور عدم وجود أشياء في المكان، المكان يعد شرطا لإمكان حدوث الظواهر، وليس تحديدا متوقفا عليها، وهو امتثال قبلي يؤدي دور الأساس الضروري لظواهر الخارجية"¹ ويعرفه "باشلار" فيقول "إن المكان الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانا لا مباليا ذا أبعاد هندسية فحسب، فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا ننجذب نحوه لأنه يكشف الوجود في حدود تتسم بالحمايه في كل الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة من الخارج والألفة متوازية"². بمعنى أن باشلار يبدي اهتمامه بالطبيعة والأماكن خاصة منها المحبوبة، وإن دل هذا على شيء فهو يدل على أنه يفرق بين نمطين من الممكنة: الأليفة والمعادية كما يركز أيضا على القيمة الإنسانية التي يتسم بها المكان.

- المفهوم النقدي للمكان:

للوصل إلى المفهوم الاصطلاحي للفظه مكان، نسير مع النقد الأدبي الحديث في كونه أصبح يستمد ما يستعين به في الحكم والتفسير والتقدير والتوضيح والتحليل من كل ميادين المعرفة الحديثة، كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم النفس التحليلي ... وتتسلط هذه المعارف كلها على الأدب والشعر³.

¹ بدوي عبد الرحمان: موسوعة الفلسفة ص 463

² غاستون باشلار: جماليات المكان، ترغالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987 ص31.

³ إحسان عباس: فن الشعر، دار الصادر بيروت، دار الشروق عمان ط1996، ص174

و فاروق أحمد سليم تحصل على لفظ يدل دلالة عميقة على سيروره الحياة الإنسانية، "فالمكان هو الموضع الذي يولد فيه الإنسان، وهو الموضع الذي يستقر فيه، وهو الموضع الذي يعيش فيه ويتحاور فيه، إذا ينتقل من حال إلى آخر، وما ينطبق على تطور حياة الإنسان الفرد، و ينطبق على تطور حياة الجماعات والأمم"¹.

- ونجد باديس فوغالي يقول: أن المكان ذو أهمية بارزة في تشكل الحياة، "فهو الموضع الذي ينشا فيه الكائن الحي ويتطور فيه، ومن ثم فإن المكان لا يكون ذا جدوى، ما لم ترتبط به الحياة، سواء كانت هذه الحياة حياة البشر أم حياة الحيوان، فأى كوكب من الكواكب، وأي مكان لم يكتشف، ولم تخترقه الحياة ليس بمكان، المكان هو الموضع الذي تزخر فيه الحياة ، لتوفره على العناصر الأساسية للحياة من ماء وهواء وتراب"²

أما سيزا قاسم فالمكان بالنسبة لها هو " الإطار الذي تقع فيه الأحداث"³.

كما أن هناك إسهامات عربية في الأصل، قامت بتلك الدراسات في ضوء تحليل الخطاب فنجد على سبيل المثال وعلى وجه الخصوص الناقد المغربي "حميد لحميداني" في كتابه "بنية النص السردي" والذي يرى أن المكان هو العمود الفقري لأي نص، فبدونه تسقط تلقائياً العناصر المشكلة له"⁴.

إذا كان مصطلح المكان قد تأخر حضوره وتناوله في الأدب العربي، فإن ظهوره في النقد العربي كان أكثر تأخراً خاصة وأن فكرة الاهتمام بعنصر المكان قد أتت مستوردة

¹ فاروق أحمد سليم : الانتماء في الشعر الجاهلي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، سوريا،د،ط، 1998،ص 197

² باديس فوغالي الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، أريد عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن ،ط1، 2008، ص170

³ سيزا احمد قاسم: بناء الرواية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط ، 1984،ص 76.

⁴ حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان- ط2000، ص 3

كغيرها من الأفكار من الفكر الغربي ونظرياته وربما ذلك ما سعى " حسن نجمي " إلى التعبير عنه في سياق توضيحه لسبب هذا التأخير بقوله: أن النقد العربي قد قصر في طرح سؤال الفضاء الأدبي لاعتبارات كثيرة، ومنها بالأساس للنقد العربي في توجهاته المتعددة "1.

ونجد عبد المالك مرتاض يتقاطع مع نجمي في هذا الطرح، ما يمكن أن نستكشف من قوله بأنه على الرغم من أهمية الحيز وجماليته في أي عمل سردي عموماً، و في أي عمل روائي خصوصاً، فإننا لم نر أحداً من كتاب العربية انشغلوا بنقد الأدب الروائي أو التنظير للكتابة الروائية أو خصصوا فصلاً مستقلاً لهذا الحيز"2.

وأما حين نعرج للناقد "حسن بحراري" نجده قد عمد في كتابة "بنية الشكل الروائي" إلى استثمار مفهوم "التقاطبات" الذي أتى بها الباحث السوفياتي "يوري لوتمان" وجاءت دراسته عبارة عن مجموعة من الأماكن التي تقوم على ثنائيات ضدية، فهناك أماكن اختيارية وأخرى إجبارية، وهناك أماكن الانتقال العمومية، وأخرى خصوصية"3.

ونخلص إلى أن ظهور المصطلح المكان في النقد العربي كان متأخراً، كما أن استخدامه كان يختلف من باحث لآخر بتعدد التسميات (الحيز، المكان، الفضاء) أما النقاد أولوه عناية خاصة في مختلف الدراسات التي أنجزوها في تحليل الخطاب الروائي، فنذكر

1 حسن نجمي: شعرية الفضاء السردى، المركز الثقافى، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص52

2 عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والأدب، سلسلة عالم المعرفة الكويت، ط، 1998 ديسمبر، ص125.

3 ينظر: حسن بحراري، بنية الشكل الروائي، الفضاء، الزمن، الشخصية، المركز الثقافى العربى، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1990 ص91، 44.

منهم على وجه الخصوص الناقد المغربي "حميد لحميداني" في كتابه "بنية النص السردي" الذي يعتبره بمثابة العمود الفقري لأي نص، بدونها تسقط تلقائياً العناصر المشكلة له¹.

- المفهوم الأدبي للمكان:

حظي المكان بعناية فائقة من قبل الأدباء والشعراء في جانبه الأدبي ومن أفكارهم نجد مفهوم للمكان أخذ بعداً أدبياً، فهو "يمثل محورا أساسيا تدور حوله نظرية الأدب"² وتزداد أهميته عندما "يعبر عن نفسه من خلال أشكال معينة ويتخذ معاني متعددة بحيث يؤسس أحيانا علة وجود الأثر"³ وهو من أهم عوامل التجربة الأدبية ، وعلى الأديب أن يصنع المكان في الإبداعي بصورة تشحن الواقع شحنات مختلفة من المشاعر والأجواء النفسية"⁴.

ويمثل المكان " الكيان الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه "⁵ والأديب له الدور البارز في هذا التفاعل "ولكي يصبح المكان مؤثرا في العمل الأدبي يجب أن تكون له دلالة تحاكي شيئا ما في نفس الأديب أو في الذات الاجتماعية "⁶.

إن المكان في الأدب له مستويات موضوعية عن قصد، وأبعاد مختارة عن فكر ولغة مبنية عن إحساس دقيق .و إذا ما أجاد الأديب اختيار المكان فإنه لا يمكن أن يبقى مكانا خياليا ذا أبعاد هندسية، لأن خيال الأديب ينجذب نحوه ، ولا تتوقف العملية عند وجود

¹ باديس فوغالي: الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، جذر للكتاب العالمي للنشر والتوزيع ط1 2008، ص176

² سيزا قاسم و آخرون جماليات المكان ، مجموعة الباحثين مطبعة دار قرطبة عيون مقالات للنشر، الدار البيضاء، ط1،1981، ص03.

³ رولان بورونوف :عالم الرواية، تر فؤاد تكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1،1991، ص92

⁴ سيزا قاسم : بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ د ط ، د ت ، ص84.

⁵ ياسين نصير الرواية والمكان دراسة في فن الرواية العراقية ج2/16 دار الحرية للطباعة بغداد ص19.

⁶ المرجع نفسه :ص20.

الاختيار ، بل يجب أن يتبعها الأديب بإجادة استغلال المكان الذي اختاره للعملية الإبداعية ، " بحيث يجعل منه في العمل الفني شخصية متماسكة ، ومسافة مقاسة بالكلمات ، ورواية لأمر غائرة في الذات الاجتماعية ، ولذا لا يصبح غطاء خارجيا ، أو شيئا ثانويا بل هو وعاء تزداد قيمته كلما كان متداخلا بالعمل الفني وهذا يختلف من أدب إلى آخر ومن عصر أدبي إلى عصر آخر ومن بيئة إلى أخرى . وقد ذهب بعض النقاد إلى أن المكان الأدبي ليس مكانا طبيعيا أو واقعا بمعنى أنه مكانا متخيلا، حتى وإن أخذ من الواقع"¹.

وللمكان أهمية بالغة وكبيرة في أي عمل أدبي، سواء أكان شعرا أم نثرا فالمكان يتولد عن طريق الحكاية، وهو الذي تتحرك فيه الشخصيات أو يفترض إنها تتحرك فيه"² ويظهر تأثيره من خلال علاقاته بالعناصر الأخرى "إذ أن تقديم الصورة المكانية في العمل الأدبي بجمالية علاقتها وتشكلها مع سائر الأبعاد تشكيلا فنيا يعمل على خلق متعة لدى المتلقي" مما يقود بالتالي إلى تعميق الصلة بين النص والمتلقي"³.

فالمكان يكتسب هوية الإنسان الذي يعيش فيه تماما كما يؤثر في الإنسان ويكسبه هوية خاصة، " فهو يمثل الحيز الأكبر من حياة الإنسان ففيه يعيش وإليه يعود بعد الموت ، فنحن لا يمكن أن نتصور وجودنا بلا مكان...⁴ والشاعر واحد من الخلق الذين يعيشون في هذا المكان ،ويؤثرون في تشكيله و بنائه ،" فلا جرم أن نجد انعكاسات كثيرة ودلالات مختلفة التأثير والتأثير بين الإنسان الشاعر ومكانه "⁵. وهنا نقول: أن المكان في الأدب

¹ أحمد السماوي: عالم القصة في سرد طه حسين، التعاضدية للطباعة والنشر، صفاقص، تونس، 1998، ص 71.

² المرجع نفسه:ص 74.

³ محمد شوابكة : دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، مجلة أبحاث اليرموك ،ع2، 1984، ص10.

⁴ ينظر: الزمان والمكان في شعر العصر العباسي الأول، غني صكبان سلمان، ص56.

⁵ ينظر: المكان في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين في نهاية الحكم العربي(484هـ- 897) ،محمد عويد الساير الطربولي ، مكتبة الثقافية الدينية القاهرة ،2005،ص10

مكان أثير، لأنه يبعث من الوجدان ويثير في النفس بعض المشاعر ويعيد ذكريات الماضي.. ويبقى الأمل في الذات بعدما داسها الحرمان والفرق والحزن.

2/ أهمية المكان في العمل الفني:

للمكان أهمية كبيرة في حياة الإنسان لأنه كان في وجوده أسبق من الوجود الإنساني، فقد خلق الله سبحانه وتعالى الأرض وذلّلها وهبها كما هيأ الكون كله، بصفته المكان الأكبر لحياة الإنسان على الأرض، وداخل هذا الكون كان إدراك الإنسان للزمان و المكان واختلفت طريقه إدارته لكل منها "1 لأن " إدراك الإنسان للزمان إدراك غير مباشر، فهو يتحقق من خلال فعل الإنسان وعلاقتة بالأشياء ، في حين إدراك الإنسان للمكان إدراك حسي مباشر وهو يستمر مع الإنسان طوال سنين عمره، مما يؤكد حميمية العلاقة التي تربط بين الإنسان والمكان و مباشرتها وملازمتها لحركة الإنسان "2 على أن المكان يتجاوز الحد الجغرافي والوصفي إلى ما يسميه باشلار سمات المأوى التي تبلغ حدا من البساطة ومن التجذر العميق في اللاوعي يجعلها تستعاد بمجرد ذكرها أكثر مما تستعاد من خلال الوصف الدقيق لها"3.

بناء على هذا الطرح فإن المكان لم يعد مساحات وفراغات ونسباً رياضيه، بل يتعداها إلى الخيال و الديناميكية اللامتناهية من الفعل الإنساني، حتى تصبح الهوية ذاتها صور من صور المكان الخيالي الديناميكي المستعاد من أفق الديمومة الحية المتجددة، فلا سبيل للتكرار والاستنساخ الجامد ، بل كائن له من الحياة ما ليس للموقع، ويظل يتوسع له

¹ محمد السيد إسماعيل : بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة ، نقد الإمارات الشارقة، دار الثقافة والإعلام ،2002،ص12،

² المرجع نفسه ص 12.

³ غاستون باشلار: جماليات المكان ،ص42.

حتى يظل يتمتعنا بخاصية التمدد والانتشار على الدوام ، فالنسق القيمي لأي مكان وأي ثقافة هو صورة رمزية مكانية تحدد الصورة المكانية والزمانية للمكان.

"فالمكان هو منطلق الشاعر ومنتهاه في تشكيل نصه الشعري المكاني فالعلاقة بين الشعر والمكان علاقة عميقة الجذور، متشعبة الأبعاد، من خلالها قد يصب الشاعر على مكان ما طابعا خاصا، فيحوّله من مسكن خرب إلى ظل مثير ومن حجر أصم إلى شاهد على لحظات مجد أو وجد، وقد تكتسب بعض الأماكن شاعرية تكاد تلازمها كالقمر والبحيرة والغابة وغيرها، وقد يظل (سقط اللوى) و(حومل) و(جبل) من الدلالات الشعرية أضعاف ما تحمل من الدلالات الجغرافية"¹.

فالعلاقة الشاعر بالمكان ذات أبعاد متعددة " تستحضر الواقعي والخيالي والوهمي ويكفي أن الشاعر يعيش في المكان على مستوى الوجود الحقيقي، ويسبح في المكان في عالمه الشعري، فيستحضر المكان من المعرفة الثقافية، ويقيم لنفسه وجودا فيه، أو يعدل من صورة المكان الحقيقي، كما يخترع المكان في الفن ويحتله بالوجود"²

والمكان يحمل قيمته الشعرية حيث يعيد الشاعر إنتاج ما عرفه عن المكان وما استوحاه منه، بل إن الشاعر الحق ينتج المكان شعريا من جديد وبطريقة لا تعزله عنه منظومة الفكر الذي يمنحه إياه التاريخ، أو يمنحه هو للإنسان تأملا واستحياء، وحين تلتقي حدود الواقع مع حدود الخيال، في تلك المساحة المكانية ذهنيا، ترتفع رايات الشعراء أولئك الذين يصنعون لخدمة الأفكار، وهذا ما نجده عند الشاعر الفلسطيني وهو " يعد ليقول بأن الجزيرة العربية تخضع بأسرها لظروف متشابهة، كما عني الشاعر الفلسطيني بتحديد المكان

¹ أحمد درويش: في نقد الشعر الكلمة والمجهر، دار الشروق، ط1، 1996، ص84.

² جريد سليم منصور: شاعرية المكان، جدة مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، 1992، ص09.

وتأطيره حرصا على بقاءه في مواجهة الزمن، ولجأ إلي أسلوب الحوار مع المكان ومناداته وتحيته، وذلك لعمق صلته به"¹.

فالأدب الذي يكتسب العالمية هو ذلك الأدب الذي يستطيع أن يتبناه الإنسان ويجد فيه خصوصيته، ومثل هذا الأدب يشق الطريق إلى العالمية ولكنه يفعل ذلك عبر ملامح قومية بارزة وقوية أحدها المكانية"².

من هنا كان المكان في العمل الأدبي ذا جانبين: الجانب الداخلي والجانب الخارجي وبهذه الطريقة يمكننا فهم النص الأدبي فهما جديدا من خلال الترابط بين ذات المبدع الخلاقة، والمجتمع، وذلك من خلال الوعي به، وانعكاس قضاياه في الأدب، لذلك يصبح المكان الأداة الأكثر استيعابا لمعاني النص وفنياته، فأخذت أهمية المكان في حياة الإنسان حيزا كبيرا، حيث تفاعلت نفسه شوقا، وحبا وحنينا، ورغبة في الوصف، وميلا على إبراز أثره في نفسه ، وحالاته المتعددة الجوانب واللامح.

إن المكان عميق الأثر في حياة الإنسان، إذ ما من حركة إلا وهي مقترنة به وما من فعل إلا وهو مستوح لبعض دوافعه منه، وهو أعمق وأكبر وأهم من أن ينحصر في ما يمثله من الظروف ، وأن يقتصر فيه، "فكل مجالات الحياة تشهد على الحضور الكثيف للمكان ، وتعدد مظاهره وتفصح عن أثره، وتدفع إلى الإقرار بأنه جزء لا يتجزأ من كل الموجودات ، فالمكان هو الذي مارسنا فيه أحلام اليقظة ، وتشكل فيه خيالنا ، فالمكانية في الأدب هي الصورة الفنية التي تذكرنا أو تبعث فينا ذكريات بيت الطفولة، ومكانية الأدب العظيم تدور حول هذا المحور"³ .

¹ عابد أمل مفرج: المكان في الشعر الجاهلي، الأردن، جامعة مؤتة، 1994، ص147.

² غاستون باشلار: جماليات المكان، ص6.

³ المرجع نفسه: ص6.

فكما يعد المكان المهد الأول الذي تنفتح فيه مدراك الإنسان، فهو الركن الأساس الذي يمارس فيه تكوينه الحياتي، وبعد أن تنفتح مداركه يبدأ بتحديد أبعاده المكانية من خلال حياته العملية، إلى أن ينتهي به المطاف إلى مكانه الأخير، فكان الإحساس فطريا ومتأصلا في النفس البشرية، والشاعر يصنف بنيته المكانية وويرسمها ويخطط لها، ويعطيها ما تستحق من أوصاف ثم يبدأ بنقلها على لوحته ليحدد معالمها على ضوء المعركة المرتقبة التي ارتسمت في ذهنه قبل وصفه، وتكونت في نفسه قبل أن يخطط لها¹.

ولاشك أنه من الصعب تغيير البيئة التي تحيط بالإنسان، لأن عملية التكيف تستند إلى تعديل ذاتي أكثر مما تستند إلى محاولة تعديل العالم الخارجي، فكان على الإنسان أن يتكيف مع بيئته، ومحيطه، ويبرز ذلك من خلال تحديد الاتساق الفكري للمكان، فهو ليس مكانا حاملا لكل التواريخ الصغيرة والكبيرة فقط، وإنما هو اللحظة التي نرى فيها هذه التواريخ، فهي نظرة شاملة، تجعلنا نتصل بالعناصر والمكونات عن طريق هذا المكان أو الحيز الجغرافي فالمكان يعبر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة، ويكتسب معاني متعددة إلى الحد الذي نراه أحيانا يمثل سبب وجود النتائج نفسه.

وتتبع أهميته من قدرته على الفعل الجوهري في مجمل البنى التي يتشكل منها العمل الفني، وعلى هذا يصبح المكان فيه جزءا أساسيا من هندسته ومعماريتها، وليس مظهرا تزينيا بمعنى " أن جماليات المكان تتناسب وجماليات العمل الفني الكلية"².

فالمكان في حركة مستمرة وديمومة دائمة، وذلك من خلال الدفع بالأحداث إلى الأمام دائما، وفق ربط الصلة بين الماضي والحاضر، هذه الصلة التي تجعل الإنسان في

¹ نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1998 ص317.

² أسماء شاهين : جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2001، ص 17.

علاقة دائمة مع المكان الذي يعيش فيه، فيؤثر فيه ويتأثر به، فيتحول بذلك (المكان) من لاشيء إلى شيء يعطي ويرسم من خلاله الإنسان مشاعره وعواطفه الكاملة في نفسيته.

ونرى في قول الناقد السيميائي (يوري لوتمان): " أن علاقتنا بالمكان تتطوي على جوانب شتى ومعقدة تجعل معاشتنا له عملية تتجاوز قدرتنا الواعية لتتوغل في لا شعورنا فهناك أماكن جذابة تساعدنا على الاستقرار، وأماكن طاردة تلفظنا فالإنسان لا يحتاج إلى مساحة فيزيقيه يعيش بها ، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل على المكان لتحويله إلى مرآة يرى فيها الأنا صورته فاختيار المكان وتهيبته يمثلان جزءا من بناء البشرية " ¹ .

ويبقى حضور المكان في الخطاب الشعري ضروريا وأساسيا فهو يمثل الأرضية التي يؤسس عليها الشاعر شخصيته وبنائه الفكري فمن خلاله يذكر وقوع الأحداث ضمن زمن داخلي يخضع في الوقت نفسه لواقع التجربة التي يخوضها الشاعر في حياته فكان اتصال العربي ببيئته القاسية في لطبيعة اتصلا مباشرا لا يحجبها عنها ستار رقيق بل تعامل معها فيما يقيم حياته ، وفيما يزينها في عينه " ² . لذا المكان جزء لا يتجزأ من حياة الإنسان العربي، فلا يمكن عزله عن السياق لأنه يرتبط ويتعلق بإعادة الإنتاج خاصة في بعده الفني والجمالي فرؤية الشاعر كانت نتيجة لتجارب معاشه أو تم حكيها ، أو أنها خلاصة أفكاره الخاصة. وفي هذا الصدد لا يمكن الحديث عن مكان واقعي تقرير حربي في عمل إبداعي ما، وإنما تبقى الأمكنة حتى الواقعية منها متخيلة ، وبعد المكان أحد أهم المكونات التي يعني بها النص الشعري، إذ يمثل خصوصية فردية ومميزة خاصة في حياة الشاعر بصفة عامة.

¹ يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني: ترجمة سيزا قاسم، مجلة ألف الصادرة عن الجامعة الأمريكية، القاهرة، 1986، ص83.

² حسين نصار: في الشعر العربي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2001، ص227.

3/ جدلية المكان والزمان:

لا شك في أن دراسة العلاقة بين الزمان والمكان في فضاء الإبداع الشعري تعني الدراسة في جوهر الرؤية الشعرية ومحركاتها ضمن القصيدة، ولا يتحقق الأثر الجمالي التام إلا بتلاحم الرؤية المكانية والزمانية في الشبكة النصية للقصيدة، ومن أجل ذلك وقف الكثير من نقادنا على قضايا نقدية مؤثرة في سيرورة العلاقة (الزمكانية) التي تحكم الكثير من النصوص الشعرية، فمنهم من بحث في جمالية المكان ومنهم من تحدث عن ماهية الزمن وجمالية الرؤية الزمنية وعبقورية المكان، وما إلى ذلك من مفاهيم ومصطلحات، وعلى الرغم من اختلاف هذه الدراسات لكنها تصب في مجرى واحد، جلتها تجمع على عدم انفصال الزمان عن المكان في كشف جوهر الرؤية الشعرية وهكذا " يستحيل الزمن بموجب محتوى النص إلى سلسلة من الحركات المتموجة المختلطة التي تتلاعب بإدراك الشاعر، بحيث تتشكل اللحظة الحاضرة في إدراك الماضي، بصورة مشوشة عند بعض الشعراء فلحظات الماضي تبعث في النص الشعري طاقة قوية لها صفة الإشعاع الحي في الحاضر كما في الماضي أو المستقبل وتتيح للقراء أن يجد فيها أبعادا جديدة ومتعددة"¹.

ومن هذا المنطلق يمكن أن تعد جدلية الزمان والمكان من البنى المحركة للدلالات النصية في القصيدة، خاصة إذا أدركنا أن الزمان والمكان صيرورة متكاملة في الكشف النصي، بل صيرورة رؤيوية متلاحمة في التحفيز النصي، ولما كان المكان المساحة التي تعكس عليها الأحداث الزمنية، بوصفها نقطة تحفيز المكان وتحولاته، و العاطفية فإن خصوصية تكمن في المؤثر الزماني وخصوصية الزمان تكمن في المؤثر المكاني، تبعا لعلاقة الألفة التي تجمع بينهما، يقول الناقد السيميائي (يوري لوتمان) "إن علاقتنا بالمكان تنطوي إذا على جوانب شتى ومعقدة تجعل من معاشتنا له عملية تتجاوز قدراتنا الواعية

¹ حسين قصي: تشظي السكون في العمل الفني، مجلة الفكر العربي، 1198، ع 92، بيروت - لبنان -، ص 207.

لنتوغل في لا شعورنا ، فهناك أماكن جذابة تساعدنا على الاستقرار، وأماكن طاردة تلفظنا فالإنسان لا يحتاج إلى مساحة. فيزيقيه يعيش فيها، ولكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره، وتتأصل فيها هويته ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية شكل الفعل لتحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها فاختيار المكان وتهيبته يمثلان جزءا في بناء الشخصية البشرية ،قل لي أين تحيا أقل لك من أنت"¹.

وبما أن البيئة المكانية هي التي ترسم الشخصية وتكسبها الكثير من ملامحها فان أبرز ما يحركها تفاعل الذات مع البيئة والوسط المحيط بها إيجابيا أو سلبيا وهذا يرتد أثره على الفضاء الذي يتخيله المبدع في تصور الأماكن ، وهذا يدل على أنه ليس ثمة وجود بلا مكان، ويستدعي وجود المكان وجود الإنسان محور ذلك الوجود والعامل الشاهد واقعا على مشهد الحياة وتتوغل الأجناس المكانية بتتوغل المكان ويترتب على ذلك التنوع من اختلاف في المعتقد واللون والمزاج والسلوك والتكوين وموضوعاتها وتركيباتها النفسية

وهذا صحيح لأن الإنسان تسمه بيئته وتكسبه ملامحها ورؤاها الشئ الكثير ولا يمكن عزل العصر الزماني فكلاهما متكاملان في دورة الحياة وحركة الكون وهذا دليل على أن للمكان خصوصياته في الفضاء النصي كما للزمان و ألفاظ المكان والشعريه ذات طاقات جمالية تعبيريه تتجاوز دلالات الاصطلاح إلى البحث عن دلالات ومعان جديده أكثر قدرة على الإيحاء كما أن حضورها ذا دلالة على خفايا الشعور والكشف عن علاقة الشاعر بمحيطة المكاني .

بما أن المكان هو الحيز المادي الذي تجري فيه الأحداث والمنعكسات الوجودية فمن الطبيعي أن يحظى المكان بأهمية قصوى في الكشف النصي وهذا يعني أن المكان في

¹ يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني تر سيزا قاسم نقلا عن جمال الدين حافظ محمد ،شعرية المكان والزمان مجلة علامات ،2004 ج52،م13 النادي الأدبي الثقافي جدة، ص 62،61.

الشعر عنصر مهم لا تخلو منه النصوص الشعرية أغير أنه ليس مجرد إضافة شكلية فارغة من المدلول وإنما أصبح يشكل واحدا من مفاتيح النص الشعري الذي يساعد على كشف مدلولاته وأسراره، مما جعله في رؤية النقاد والمبدعين زاوية النص باعتباره المفتاح الأهم للولوج إلى فضاء النص والوقوف على حيز المعاني التي يتضمنها النص الشعري.

والدكتور حسين محمود يرى " أن تجسيد المكان يختلف عن تجسيد الزمن ، إذ أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها الأحداث، أما الزمن فيمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها وإذا كان الزمن يمثل الخط الذي تسير عليه الأحداث فإن المكان يظهر على الخط ويصاحبه ويحتويه ، فالمكان هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث"¹.

ونفسر من خلال هذا الكلام أن جدلية المكان والزمان عنصران مكملان لبعضهما البعض ونستنتج أن مسألة جدلية المكان والزمان في الإدراك النفسي والمكان في الإدراك الحسي مسألة تحتاج لتمعن فيها لأن إجتماعها في العمل الفني يخلق أبعادا جمالية في الجانب النفسي والحسي فنجد هنا أنهما عنصران مكملان لبعضهما وارتباطهما وجوبا.

4/ المكان والهوية:

المكان هو الحدث الرئيس والبؤرة الوحيدة التي يتنفس من خلالها الشعراء فهوية الشاعر مرتبطة بمكانه لذا فإن ارتباط الإنسان بالمكان بائن وواضح في كل المجتمعات.

وقد حدد " فارنبييه " مفهوم الهوية بقوله إنها: " مجموعة قوائم السلوك واللغة والثقافة ،التي تسمح لشخص أن يتعرف على انتمائه إلى جماعة اجتماعية والتماثل معها ،غير أن الهوية لا تتعلق فقط بالولادة أو الاختيارات التي تقوم بها الذات، لأن تعيين الهوية سياقي ومتغير فالواقع أن التقاليد التي تنتقل الثقافة عبرها ،تضم الإنسان منذ طفولته جسدا وروحا

¹ حسين محمود : بناء المكان في سداسية الأيام الستة ، مجلة علامات النادي الأدبي بجدة .م.ج.10 ع34 ،شعبان 1420هـ، ص195.

بكيفية غير قابلة للمحو" ¹ ، وهذا يعني وجود مجموعة من الأنساق والعناصر تتدرج في سياق الهوية ، يستقي منها الفرد معنى لوجوده ويحدد من خلالها ذاته وخصائصه الأساسية داخل الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه ، وامتيازه عن الآخرين ، " فهي إذن بمثابة "مركب كيميائي" تتفاعل عناصره وتتكامل مع بعضها البعض لتخلق هوية ذاتية فردية فضلا عن الهوية الجماعية المعبرة عن الوطنية القومية في أبعادها المادية الفيزيائية والتاريخية والثقافية والاجتماعية والنفسية وما تشتمل عليها جميعها من الأسماء والأحداث والآثار التاريخية والدين والتعبير الأدبي والسلطة والانتماء... التي تغرس في الذاكرتين الفردية والجماعية"².

وشكلت الهوية هاجسا يراود الشاعر، ويؤجج حضوره لإدراكه بتغاير هويته الآخر اليهودي الذي سرق الأرض، وقام بعبرنة أسماء الشوارع والقرى والمدن العربية وشرد شعبا كاملا خارج حدود الزمان والمكان وارتكب بحق مجازرا كبرى ليخلو له وجه الأرض فلسطين، فقد تعرضت الهوية الفلسطينية لحمات إبادة جماعية متكررة منها أيضا اجتياح بيروت ومخيمات اللاجئين الفلسطينيين، ومجازر شبرا وشاتيلا وجنين ورفح... والدعوة إلى الاعتراف بدولة إسرائيل... وقد أحس الشاعر الفلسطيني قبل النكبة بخطر تسارع هجرة اليهود وأطماعهم في فلسطين لتأسيس وطن قومي لهم بمساعدة الاستعمار البريطاني وحرصت شعوب العالم منذ بداية البشرية حتى هذا اليوم إلى المحافظة على تميزها وتفردتها اجتماعيا، وقوميا، وثقافيا ، لذلك اهتمت بأن يكون لها هوية تساعد في الإغلاء من شأن الأفراد في المجتمعات ، وساهم وجود الهوية في زيادة الوعي بالذات الثقافية والاجتماعية مما ساهم من تميز الشعوب عن بعضهم بعضا ، فالهوية جزء لا يتجزأ من نشأة الأفراد منذ ولادتهم حتى رحيلهم عن الحياة.

¹ نقلا عن المناصرة، عز الدين، الهويات والتعددية اللغوية ، عمان دار مجدلاوي ، ط1 2004م ،ص26.

² درويش محمود: الأعمال الجديدة ، بيروت ، دار رياض ، ط2، 2004م ،ص197.

ارتبطت هوية الفلسطيني في أعقاب نكبة 1948 بفقدان أرضه بشكل حصري ، وما نتج عن القضية من ارتباط عضوي مع هزيمة الدول العربية التي أدخلت جيوشها ثم انسحبت ومن ثم جعلت ضياع الأرض عنواناً للتشريد الفلسطيني بالهزيمة التي أظهرته لاجئاً ضعيفاً يعاني التشرد والقهر والفقر ، وجعلت منه كائناً ينتقل من صورة مالك الأرض الزراعية و البيارات إلى صورة اللاجئ ، الذي يعاني الفاقة والضياع¹ ، وقد عكست رسوم إسماعيل شموط التي التي تدور حول النكبة فحوى هذا اللجوء ، حتى أنه كتب عن المكان الفلسطيني المرتبط باللجوء قائلاً " صار المخيم سجنًا ينبغي الانعتاق منه "²

ويعرض فيصل دراج ... ما يراه من إمكانية تحول "خارج المكان" إلى "اللامكان"

"المكان هو ما عاشه الإنسان فيه ، والأمكنة بأهلها وقد تكون في المكان تجربة إنسانية قاسية ، أثّرت الوعي السعيد بالذكريات اللطيفة ، وفقد سعادته حين احتاج الزمان المكان وأثّته بأطلال الذكريات ، ويتراءى دائماً ، الانزياح موجه : انزياح المكان عن مكانه، وانزياح الإنسان من مكان إلى آخر لم يرغب به ، هناك "اللامكان" الذي عبرت عنه مخيمات الفلسطينيين بلغة مختلفة ، إذا كان في مكان مستقر ما يتعهد الأحلام بالرعاية، فإن في "اللامكان" ما يكاثر الكوابيس ويفرض أكثر من الرحيل "³.

يختلف تاريخ الفلسطيني بسبب الغزو الاستعماري وهي ضمن الشعوب المقهورة التي سلبت منها جميع حقوقها " لا يوجد تاريخ آخر ما لم نأخذ في الاعتبار مناطق الغياب،

¹ إسماعيل شموط : السيرة والمسيرة الفلسطينية، دت، دط ، ص 34.

² المرجع نفسه: ص 35.

³ فيصل دراج : تهجير الإنسان وما تكشفه الكاميرا ، "جريدة الحياة"، العدد، 12 تموز 2011

ومواطن الصمت التي تتخلل ما يمكن أن يكون منطوقا فكل شيء تم النطق به أسس على كم من الأصوات التي لم تسمع بعد "1.

ويقول غاستون باشلار: " البيت هو ركننا في العالم إنه كما قيل مرار، كوننا الأول كون حقيقي بكل ما للكلمة من معنى "2.

وعليه يرى باشلار أن البيت الأول والمكان الأول محفوران في داخلنا " فالبيت الذي ولدنا فيه هو أكثر من مجرد تجسيد للمأوى، وهو تجسيد للأحلام كذلك "3.

وكذلك يأتي انطوان في تشخيص الوضع الفلسطيني حين يطرح السؤال عن ماهية الزمن الفلسطيني في علاقة مع إنتاج الهوية وفي علاقة مع النص، لأن النكبة تحيل فورا إلى فقدان الوطن " ماهو الزمن الذي لا بد للنص الفلسطيني أن يستأنس به؟ هنا يدخل بكل قوة موضوع النكبة، بكلمات أخرى الزمن الماضي، فلا تزال المعركة على الهوية الوطنية في حاجة إلى ما يسعفها في إثبات الحقيقة التاريخية المرتبطة بهذا الزمن في المضامير كافتها"4.

وهنا فالمكان يمثل جميع العلاقات الجغرافية التي ترتبط بتشكيل خصائص المكان وهوية الإنسان أو المجموعة البشرية التي يعيش معها منذ القدم، حيث نسجت العصور ملامح العلاقة الفريدة بين الإنسان والمكان الذي يقطنه تجسدت عبر العديد من الدلالات مثل الاطمئنان والاستقرار والراحة والشعور بالحب والأمان وكذلك الحماية التي يمنحها هذا

1 انطوني كينغ : مقالات في الثقافة والعولمة والنظام العالمي، تر: شهرت العالم وهالة فؤاد ومحمد يحيى، القاهرة والمجلس، ص79.

2 غاستون باشلار: جماليات المكان، ص36.

3 المرجع نفسه ص36.

4 أنطوان شلحت : ورقة قدمت في نطاق يوم دراسي عقدته مؤسسة الأسوار في عكا، حول الثقافة الوطنية الفلسطينية ص20

المكان لساكنيه ومن ثم ارتقى هذا المفهوم إلى ما اصطلح على تسميته (الوطن) ضمن جدلية العلاقة التاريخية بينهما حيث أشارت كل الوقائع التاريخية إلى أن الإنسان ارتحل عن أمكنة عديدة حين لم يعثر فيها على مقومات والأمن والاستقرار.

5/ شعرية المكان:

إن أهم ما يميز شعرية المكان أو توظيفه شعريا "، أنه يقع بين زاويتين هما : زاوية التشكيل الشعري ، وزاوية التأويل ، ففي الزاوية الأولى تتشكل وفقا لرؤية شعرية غالبا من يتحكم فيها الخيال ليمنحها بعد تأثيريا جماليا ، وفي ضمن الزاوية الثانية يكون لإحساس المتلقي ورؤيته منفتحا على العالم المتخيل عند المتلقي" ¹ كما "أن شعرية المكان ليست محصورة في المكان وحده بل باتصاله القوي بخبرة الشاعر ورؤيته فيه" ².

ولابد من الإشارة إلى دور اللغة ومعطياتها الشعرية والجمالية على المكان لأنه في الشعر يتشكل عن طريق اللغة التي تملك بدورها طبيعة مزدوجة ... لكن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها، وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع إلى ما قد يتناقص مع هذا الواقع" ³ فعلاقة اللغة بالمكان الشعري تتم على صعيد النسق التصوري أي مجموع التصورات التي تتشابه وتتقاطع فيما بينها وتجدد الرؤية تجاه العالم" ⁴.

¹ جاسم علي متعب، منى شقيق: فاعلية المكان في الصورة الشعرية، سيفيات المتنبي انموذجا، مجلة ديالي، العراق ، العدد 40 ، 2009، ص4.

² انظر: إبراهيم أحمد ملحم، شعرية المكان قراءة في الشعر، مانع سعيد العنتبية، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، أريد، الأردن، 2011، ص08.

³ عثمان اعتدال : المكان في الشعر العربي، مجلة الأقطام من بحوث مهرجان المرشد الشعري السادس 1996، ص76.

⁴ حسين خالد حسين : شعرية المكان في الرواية الجديدة مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض 2000، ص73.

وقد أشار الشاعر والناقد "عز الدين نصير" إلى أهمية المكان في محاضرة بعنوان "شعرية الأمكنة" ألقاها في المؤتمر التأسيسي لافتتاح الجمعية الجاحظية بالجزائر 1989/11/20 والتي أسسها الروائي الطاهر وطار إلى عنصرَي الإشارة والتحريض على حب تأمل المكان الشعري وقراءة أسرارهِ، وجعلها أكثر أهمية من ذكر اسم المكان نفسه¹. وبهذه الإشارة يفتح الشاعر أمامنا آفاقاً جديدة، يمكن من خلالها تصور أبعاد المكان المتعددة وليس الاقتصار في البحث عن المكان.

"فالمكان يحمل قيمته الشعرية حين يعيد الشاعر إنتاج ما عرفه عن المكان وما استوحاه منه، بل أن الشاعر الحق هو من ينسج المكان شعرياً من جديد وبطريقة لا تعزله عن منظومة الفكر الذي يمنحه إياه التاريخ... حين تلتقي حدود الواقع مع حدود الخيال². ومن بين الذين أسالوا حبرهم حول علاقة المكان بالشعرية نجد "حسن بحراوي" في كتابة بنية الشكل الروائي قائلاً "... وفي هذا الاتجاه سارت الشعرية الجديدة للمكان بعد أن تخلصت من عجزها المنهجي والمعرفي، عن طريقة الإفادة من المنطق والسيمائيات وسائل العلوم الإنسانية وأصبحت تنظر إلى الفضاء الروائي نظرة جديدة تغنيه وتغتنى به مما أعاد له حضوره عن مستوى التحليل والبحث"³.

¹ انظر: كتيبة ربيب جماليات الزمان والمكان في شعر عز الدين مناصرة، ط1، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2015م، ص80 وأنظر: نص محاضرة الكامل في الكتاب، المناصرة، عز الدين، جمرة النص الشعري ط2، مجدلاوي، عمان، 2007م، ص 247، 310

² باحشوان سلمى : المكان في شعر طاهر وطار، رسالة ماجستير، جامعة عبد الملك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية، 2008، ص 21.

³ حسن بحراوي : بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) ص27.

احتل المكان في الشعر حيزا واسعا لأنه يعيد خلق صورة الألفة، ويزيد من سطوعها وتعميقها حد انفصال مكان الشاعر نفسه عن مكان القصيدة الشعرية¹. وتوظيف المكان عند الشاعر يربطه بالحدث والزمن حتى يحافظ على صلته بالواقع " فإن الشاعر المتأمل يستطيع أن يكشف الصلة بينه وبين واقعه من خلال ارتباط الأثنين بمفهوم التقدم والتطور والحركة، لذا فالمكان سوف يرفض أية تصورات لا تربطه بالحركة والزمن².

ويبقى الشاعر يصور لنا المكان بصورة حيوية وذلك بإبراز العواطف والمشاعر والانفعالات الموجودة داخل نفس الإنسان.

6/ مستويات المكان:

يثير المكان فينا شعورا بالانتماء، لما يوقظه بداخلنا من ذكريات حاضرة وأخرى اندثرت في عالم لا نستطيع الانتماء إليه، إلا أننا نستذكره بحضور المكان أو تعمل ملكات الخيال على تشكيله فيبعث الحياة في رفات من الصعب إحيائها، كما أنه يمتلك دلالات عدة يمتاز برمزيته اللامتناهية ومستوياته فضلا عن احتوائه تقاطبات تميز الأمكنة عن بعضها بالموضع والمعنى، فضلا عن الانفتاح والانغلاق من حيث المساحة والفضاء وبالتالي نستخلص أن مستويات الأمكنة تنقسم إلى مستويين:

أولا: المكان المفتوح:

إن الأماكن المفتوحة هي أماكن شاسعة، ليس لها هوية محددة بل تتفتح للمجهول، تصب في البداية في مخيلة المبدع ولكن ليس لها نهاية في مخيلة المتلقي " لأن الأمكنة المفتوحة تحاول عادة البحث في التحولات الحاصلة في المجتمع وفي العلاقات الإنسانية

¹ كمال نجم الدين: المكان في النص الشعري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ص120

² نصير ياسين: إشكالية المكان في النص الأدبي دراسات نقدية، ص19.

والاجتماعية ومدى تفاعلها مع المكان¹ ويبقى فضاء الأمكنة يكشف عن الصراعات القائمة بين هذه الأمكنة بوصفها عناصر فنية وبين الإنسان الذي يعيش فيها، وتحمل عدة معاني منها: ما تبعث الفرح والسعادة والمودة ومنها من تبعث الموت والفشل ، من بينها نذكر الأماكن منها المدنية بفضائها الواسع اللامتناهي من الأحلام والآمال والتي يقيدتها حكم أو تقليد ولا تؤمن الا بالحرية والانطلاق خارج السرب بعيدا عن كل القوانين والطقوس والتقاليد المفروضة ويدخل ضمن المدينة الشارع لأنه من عناصر البيئة الأكثر انتقادا ضمن الأماكن المفتوحة العامة² وهو مسار وشريان للمدينة، وفي الوقت نفسه المصب الذي يصب فيه الليل والنهار ، فهو المسار والمصب في آن واحد³ والبحر بامتداده الشاسع وانفتاحه المجهول وغيرها من الأماكن المفتوحة الأكثر شاعرية مما يولد دلالات مختلفة لأن تنوع الأمكنة يستدعي تنوعا في الأحداث وبالتالي في الدلالات⁴ .

المكان المفتوح هو حيز و مكان خارجي لا تحده حدود ضيقة يشكل فضاء رحبا غالبا ما يكون لوحة طبيعية في الهواء المطلق⁵ ، وهنا يبقى السؤال مطروح من ضمن التعريف كيف يتم العثور على الأماكن المفتوحة على الصعيد الخيالي ؟

ونرى أن العثور على المكان ليس بالأمر الهين ولا سيما إذا كان هذا المكان يرتبط في ماهيته وفلسفته بالحرية ، إذ يمثل الضغط النفسي والقهر المعنوي أحيانا فرصة كبيرة في تشكيل مكان مفتوح في مخيلة الأديب بكل ما فيه من عناصر فنية ورؤيوية ومكملات سمعية وبصرية ولونية يضاف إلى ذلك كافة الذكريات التي يتذكرها الأديب حيث تتمظهر

1 عبيدي مهدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط1، 2011، ص96.

2 حسين فهد ،المكان في الرواية البحرية فراديس للنشر والتوزيع البحرية، ط1 ، 2003، ص 132.

3 اليابلسي، شاكور، جماليات المكان في الرواية العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994 ،ص65 .

4 حسن بحراوي: بنية الشكل الروائي ،ص90.

5 اوريدة عبود : المكان في القصة الجزائرية الثورية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات، ص85.

في أماكن مفتوحة كالحداثق والمراعي والبساتين وغيرها ...و الذاكرة قد تكون صعبة وقد تكون حميمية تشعرنا بالمحبة والألفة .. فالحاضر تنبثق عنه صور للمكان المفتوح الذي يقبع في أحضان الماضي في شكل أحلام تجعل من الماضي نفسه مادة خصبة للمستقبل الذي يتمظهر في مخيلة الأديب ، "حتى أن بعض الأماكن التي قد تكون مغلقة يرفض الأديب أن تكون مغلقة محاصرة فيحولها إلى مكان مفتوح وذلك عبر فضاءات تتولد في خياله الفني إننا إذ نتذكر بلا انقطاع ، إنما نخلق الزمان الغير المجدي وغير الفعال (الحاضر) بالزمان الذي أفاد وأعطى ولا تكون جدلية السعادة والتعاسة مستحوذة إلى هذا الحد إلا عندما تكون متوافقة مع الجدلية الزمنية"¹ وهذا يعني أن الحاضر ينجز الماضي من حيث الحاضر فراغ يقتضي ملؤه بمادة هي إنتاج تجارب سابقة ، لكن ملأه يخضع إلى عملية انتقاء وتحويل تقتضيها المواجهة الأنطولوجية مع الزمن².

ويتكأ المكان المفتوح على ثلاث مسلمات في ديناميكية مستمرة:

- تموجات شعورية ووجدانية في علاقة جدلية مستمرة.
- تشكيل محاور بين الفضاء المكاني والرؤى النفسية.
- تمظهرات المكان المفتوح على مستويين (الأديب والمتلقي)³

¹ باشلار غاستون : جدلية الزمن ،ترجمة أحمد خليل ، ديوان المطبوعات الجزائرية ،ط3، 1992، ص47.

² بركة الأخضر : الريف في الشعر العربي الحديث ، قراءة في شعرية المكان ، دار المغرب للنشر والتوزيع الجزائر ط1 ،2002، ص 55.

³ جيهان عوض أبو العمرين ، جماليات المكان في الشعر تميم البرعوثي ،رسالة ما جستير ، كلية الآداب واللغة العربية 2014،ص،60.

ثانيا: المكان المغلق:

المكان المغلق يمثل الحيز الذي يحوي حدودا مكانية، ويكون ضيق على المكان المفتوح " وقد تكون الأماكن الضيقة مرفوضة: لأنها صعبة الولوج وقد تكون مطلوبة لأنها تمثل الملجأ والحماية التي يأوي إليها الإنسان بعيدا عن صخب الحياة "1.

" إن الحديث عن الأمكنة المغلقة هو الحديث عن أماكن بمساحات معينة كالغرف والبيوت والقصور ... فهو المأوى الاختياري والضرورة الاجتماعية أو كالسجون فهو المكان الإجباري المؤقت فقد تكشف الأمكنة المغلقة عن الألفة والأمان أو قد تكون مصدرا للخوف"2.

تتعدد صور المكان المغلق بدءا من البيت ...، والأماكن المفتوحة قد تكون مغلقة نفسيا للإنسان، ومنه فالمكان المغلق قد يبعث على السأم والملل، كالسجون التي تعد من أكثر الأماكن انغلاقا إذ تثير العتمة " والظلام"3

إن المكان المغلق هو المكان التي يعيش فيه الإنسان ويبقى فيه فترات طويلة سواء كان بإرادته أو إرادة الآخرين، ولكن في هذا العيش تبرز الصراعات الدائمة بين الإنسان ومكانه حيث يتحول هذا الصراع إلى ألفة، ويبقى الصراع قائما لتزداد العزلة النفسية أكثر، والمكان المغلق هو الشيء الثاني للمبدع ويتمظهر ذلك في النصوص الشعرية تحمل معها طيات من الإيحاءات والدلالات .

1 قاسم سيرا و آخرون جماليات المكان، ص63.

2 عبيدي مهدي : جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص 43.

3 عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار المغرب للنشر والتوزيع الجزائر، ط2007، ص4، ص112.

ويقف المكان المغلق على عدة أمور منها "مدى التوافق بين البني المكانية وبين المبدع نفسه، والتناغم بين البني المكانية والبني النفسية والتضاد بين الوعي واللاوعي"¹

قد يتحول المكان المغلق إلى مفتوح في مخيلة المبدع والمتلقي وذلك بناء على هويته ونوعية المتلقي والرؤى التي. يتمظهر بها العمل الأدبي

أن فكرة الانغلاقية والانفتاحية فمكان مغلق ومكان مفتوح، مسألة نسبية تحتكم إلى زاوية النظر فما أراه أنا مكانا مغلقا قد يراه غيري مفتوحا وبهذا يصبح المكان المعادي أليفا ومحبا وفي هذا الطرح نستند إلى قوله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام:

قال : "رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب إليهن وأكن من الجاهلين"².

ومنه فالإغلاق يساوي الانفتاح في مفهومه السلبي حيث يقول سوبر فيل " انفتاح المكان أكثر مما يجب يشعرنا بالاختناق أكثر من المكان الأضيق مما نحتاج"³.

ولا ننسى أن اللغة ذاتها تحمل في طياتها جدل المفتوح والمغلق، وعلى حد تعبير رولان بارت تتفتح من خلال التعبير الشعري وتعدد المعنى.

7/أبعاد المكان:

01/ البعد النفسي الاجتماعي:

يعتبر المبدع أن المكان ليس جامدا أو حيزا أو فضاء يمارس فيه حياته وإنما هو "مكان ثقافي، أي الإنسان لا يحول معطيات الواقع المحسوس وينظمها عبر توظيفها المادي

¹ عتيق عمر: إشراقات أسلوبية في مجموعة حلوى الماء لانتصار عباس، مجلة الأفكار، وزارة الثقافة الأردنية، العدد 244.

² سورة يوسف : الآية 33 .

³ غاستون باشلار: جماليات المكان ، ص197.

المعيشي فحسب ، بل عبر إدخالها في نظامها اللغوية... التي تحمل أشياء في الوقت ذاته دلالات إيجابية أو سلبية" ¹ وعلاقة الإنسان بالمكان تبين أنه في مكان معلوم وترسم معالم شخصية تحت مؤثرات المكانية فهو " ابن البيئة بأحداثها وتاريخها وهمومها ... ويتأثر بالحاضر والماضي حسب قدرته أو بعده عنها" ² ويبقى المكان هو السبب الرئيسي والحقيقي في تمظهر الأحداث التي يصبها في نسيج من خيال المبدع ويتشكل منها رؤى و إيديولوجيات وطبقات شعورية ذات مستويات متعددة" إنه بشكل أو بآخر يعبر عن مقومات خاصة مرتبة بالهوية والكينونة والوجود ³.

وعلاقة الشعر العربي بالمكان علاقة قديمة وأصلية: " إنها علاقة وجود وحياة متجذرة في وجدان الشاعر وإذا كان منبع الشعر هو الوجدان، فإن أقوى البواعث أحقها الداعية إلى قول الشعر (هو وجدان النفس)" ⁴.

إن المكان هو جزء من الثقافة المستمدة من القول وتنتقل من جيل إلى جيل وتعيد الأجيال صياغته من التراث إلى التجدد فيه " لان المكان جزء من الثقافة مما أصبح ملامسا لقوة الإحساس والشعر عنده وهو تاريخ متصل، تتناقله الأجيال وتمثله وتعيد صياغته استلهاما للتراث المتجدد في روح المجتمع، تجدد سطور غرائز الانتماء للاماكن، وللقوم

¹ قاسم سيزا وآخرون: جماليات المكان، ص 64

² خرفي محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري (أطروحة دكتوراه)، جامعة منتوري قسنطينة، الجزائر بإشراف يحيى الشيخ صالح، 2005-2006، ص 111.

³ عبود أوريدة: المكان في القصة القصيرة الجزائرية الثورية، ص 23.

⁴ نبوي أحمد سيد: جماليات المكان عند ابن خفاجة الأندلسي، مقالة ضمن مجلة الفكر والإبداع، السعودية، ص 3.

الذين سكنوها... وهذا الانتماء يشترك فيه المخلصون اشتراكهم في الماء والهواء إلى الحد الذي يصبح معه أحد مقومات حياتهم على المستوى المعنوي خاصة " ¹

إن هذه الذاكرة التي تستوطن دواخلنا على حد قول باشلار: "هي بروز متوثب ومفاجئ على سطح النفس" ².

ولذلك فإننا عندما نستعيد المكان فإننا نستعيده وفق تأملات نفسية وانفعالية "ارتبطت به عبر شبكة علائقية من الهواجس النفسية والشعورية معا، فالمكان هو منطلق الشاعر ومنتهاه، في شكل دائري ولولبي، تتفرغ عنه بعض التيمات، لكنها تتداخل جميعا لتشكيل النص الشعري المكاني" ³.

من هنا كانت عملية إنتاج النص تستلزم إبراز الدلالات النفسية والاجتماعية التي أثرت فيه، لتتم عملية المقارنة وفق آليات فنية وشعورية تؤدي إلى القراءة والتميز، وهذا مانادى به أدونيس الذي أصر على أنه " لا تصح قراءة العمل الشعري بما هو خارج عنه ولا بمجرد نصيته المخصصة، فقراءته بعناصر من خارجه إلغاء له، وقراءة لذاته وحده إلغاء لتاريخيته أو لاجتماعيته فليس العمل الشعري مجرد انعكاس نفسي ذاتي، كما انه ليس مجرد انعكاس واقعي اجتماعي، انه قبل كل شيء مركب إبداعي يصدر عن مركب إنساني" ⁴.

مما سبق يتضح أن العمل الشعري ماهو إلا مركب من عوامل إبداعية وخارجية وداخلية صدرت عن إنسان، مارست الحياة كلها دورا كبيرا في تشكيله المادي والمعنوي وتحول لكائن مكون من بنى شتى، لينعكس دوره على المكان فيكون هذا المركب الإبداعي.

¹ المنصوري جريدي: شاعرية المكان عبر ذاكرة الطفولة، قراءة في الانبهار والدهشة، لزيد مطيع، اليمن، ط2009، 1، ص3.

² غاستون باشلار غاستون جماليات المكان ص 4.

³ خرفي محمد صالح، جماليات المكان في الشعر الجزائري ص121.

⁴ اسبير على أحمد : كلام البدايات، دار الآداب بيروت، ط1، 1989، ص28

والسؤال الذي يتبادر للذهن: هل يتغير مستوى العمل الأدبي لدى المبدع حسب تغيره المكاني؟

ومنه فالانتقال المكاني يفرض انتقالا شعوريا وجدانيا وبالتالي تبرز "المغامرة الحياتية والشكلية والنفسية"¹.

لذلك قد ترتبط مشاعر الإنسان ووجدانيته مع بعض الأماكن بعلاقات ايجابية فيكون التشكل الفني مخالفا لتلك الأماكن التي يكون مجرد ذكر حاله مؤشرا مؤلما في حياته فالشاعر يملك رؤية خاصة للمكان الذي كتب عنه، وبالتالي قد تتعدد تلك الرؤى بمدى اندماج الشاعر في هذا المكان أو ذاك. فالمتلقي يلعب دورا كبيرا في شعرية النص الأدبي وفق نفسيته واجتماعيته (الشخصية) "وبالتالي يأخذ النص الأدبي منحى آخر عندما تتم مقارنته من المتلقي، وكأن النص أصبح مثل مثلث صيرومونتيفي يقع بين المبدع والوسط الذي ظهر فيه إذ تتم مقارنته وفق شفرات نفسية واجتماعية خاصة، يتضح من العرض السابق أن علاقة الشاعر بالمكان ليس مجرد علاقة عابرة، تربطه بجماعة معينة من الناس إنما هي علاقة جدلية تتحدد فيها الأنا مع الموجود المادي والروحي لتتحول هذه العلاقة إلى كل واحد لا انفصال بينهما، لأن المكان إذا خلى من الناس يغدو خارطة فارغة لا تبعث على الحياة والتجدد² وبناءا على جدلية تلك العلاقة بين الشاعر وبين المكان فإنه قد يصلح أماكن وقد يتخذ موقف العداء في مواقف أخرى لأماكن أخرى، ناهيك عن ما يشحن المكان من عواطف وانفعالات تصاحب تلك العلاقة³.

¹ خرفي محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري، ص121.

² يحي فرحات: دلالة المكان في رواية قنديل الليلي المعتمة، مقالة في جريدة الأسبوع الأدبي، صادرة عن إتحاد كتاب العرب، دمشق، العدد 926 ص67.

³ المرجع السابق: ص 68

ومما يتصل بهذا الجانب أن المكان قد يكون واقعا جميلا وقد يكون سجنا مقبوتا لأن الإحساس بالمكان إحساس له أصلاته فهو هوية تاريخية ووطنية ونفسية " ¹ ولذلك نجد أن الواقع الايديولوجي للمبدع ومحيطه المكون من الموروثات الثقافية والتراكمات البيئية تفرض سيطرتها وبقوة على هوية العمل الأدبي نتيجة الضغط النفسي فكما مارست تلك الضغوط سطوتها كلما كان العطاء أكثر تفردا وتميزا، هذا العطاء يترك آثار نفسية واضحة غير مرئية في موجودات المكان، بمعنى أن موجودات المكان المادية تصبح مع مرور الوقت وكأنها مرتكزات أساسية في الإبداع الفني، فالشارع والسجن والجبل والمقهى...كلها أماكن تحمل واقعا اجتماعيا أسهم بشكل أو بآخر في ترك بصمات في مخيلة الأديب، الأمر الذي أدى إلى تكوين حالة من التراكمات النفسية لدى الأديب تجاه ذلك المكان .

وبناء على ما سبق فإن المكان لا يكتسب دلالات نفسية واجتماعية إلا عندما يصبح مجالا للقوى الفعالة بصراعاتها ورغباتها وأحداثها بخيرها وشرها ومن ثم يصبح هذا العمل الفني بمثابة المفتاح الذي يفصح عن عقلية هذا المجتمع أو ذاك وطريقة تفكيره، ولذلك يرى الباحثون، أن المكان له أثر كبير في تحديد الطبائع النفسية والجسدية لسكانيه وأي خلل يعتري تلك العلاقة التبادلية بين الإنسان وسياقه أو ظرفه المكاني فإن ذلك يظهر في الجانب النفسي والاجتماعي " ² يتمظهر البعد النفسي جليا في عدة أماكن أهمها مثلا المسجد الذي يرتبط بالدلالة الدينية، إذ الرحابة النفسية الروحية وقد يأخذ المسجد شكل الرمز بدلالاته المكثفة عبر الإيمان إليه بوصفه مصدرا للأمن والطمأنينة... ، والصحراء في اتساعها واحتوائها على المتناقضات والثنائيات من أمن وخوف وأمل ويأس وغموض ووضوح

¹ ابو بشير بسام علي: جماليات المكان في رواية باب الساحة لسحر خليفة، مجلة الجامعة الإسلامية، جامعة الأقصى، غزة فلسطين، المجلد، 18 العدد الثاني ص267.

² البليهد أحمد سعود: جماليات المكان في الرواية، السعودية، دار الكفاح لطباعة والنشر، الدمان، السعودية، 2008، ص98.

وموت. قد تومئ إلى فضاء نفسي يميل إلى الحزن والوحدة ولذلك نجد أن الشاعر العربي القديم كان يميل إلى أنسنة المكان، حتى يزيل معالم تلك الوحشة النفسية يضاف إلى ذلك البحر الذي يحمل شفرات نفسية عالية مثل الإيحاء بالرهبة والضياع والإقدام والإحجام وغيرها من الأماكن التي تعد ولا تحصى، ولقد كان ذكرنا لتلك الأماكن على سبيل الذكر وليس الحصر" ومما تجذر الإشارة إليه أن البعد النفسي بأخذنا إلى ظاهرة التكرار في النصوص الشعرية والتكرار يحمل دلالات نفسية تتعلق بالشاعر ونفسه وما يخالجها من عشق وحنين إلى المكان كما أن الشاعر حينما يكرر ألفاظا بعينها قد تكون أسماء أو أماكن أو ما شابه ذلك لدلالة نفسية شعورية فيكون التكرار بؤرة تلك الدلالة النفسية الشعورية أو قد يكون مركز ثقلها"¹.

وأخيرا في ضوء ما سبق مازال المكان بيئة خفية تتموضع فيها مدركات الإبداع الحسية والمعنوية لتمظهرات الحياة على الأرض ومن ثم" تشكل مركبات إبداعية ذات نسيج منفرد في إبداعه تكمن قيمة هذا المركب الإبداعي عبر حركة هيرومونطيقية تمنح المكان هوية نفسية واجتماعية"².

02/ البعد السياسي الوطني:

أصبح شعر الأوطان والحنين إلى الديار من أغلب الأبعاد التي شكلت منعظفا أساسيا في مخيلة الشاعر، وبالرجوع إلى القديم لم يكن المكان/ الوطن متمظمرا بوضوح لان العربي كان منتقلا وفي حالة من حالات الترحال، إلا أن المنتبغ لدلالات الوطن في الشعر

¹ صلاح عبد الله زيد: جماليات المكان في شعر حسن الشريقي، مقالة عن التناص والتلقي د ماجد جعافرة، ص105. نقلا عن أسلوب التكرارين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء. شفيح السيد، مجلة إبداع، العدد 6، السنة 2، يونيو 1984 ص66.

² . المرجع نفسه: ص 66

العربي يرى أن تلك الدلالات " متعددة وهذا التعدد ناتج عن اختلاف التوجهات الفكرية والرؤى السياسية للشعراء"¹.

نرى أن النصوص الشعرية تتنوع بتنوع توجهات آدابها إيديولوجية وأن الشاعر أكثر من ذلك، وهذا تبعا إلى سجله الإيديولوجي.

فلا عجب أن وطن الشاعر لا حدود له، يرسم تضاريسه بلغته الشفافة ويعانق فيه روح الحياة².

إن تعدد الأوطان يأخذنا إلى رؤية جديدة.. كأن نعيد صياغة الأزمان "ولكن هذا يكون وفق إيديولوجيات المبدع التي تعطي لنا نصوصا مؤدلجة برؤى أصحابها، والبعد السياسي يدخل الأديب أو الشاعر في حالة ضياع وتيه خاصة إذا كان من الذين عاشوا تجربة المنفى حيث يعد الشاعر هو الوطن والوطن هو الشاعر"³.

الملاحظ أن جميع الشعراء يشتركون في البعد السياسي الوطني، ألا أنه يبدو متفاوتا بحسب حجم المعاناة وإثرها على الأديب، وبالتالي انعكاس أثره على الحجم الإبداعي المقدم إذ تراوحت الأعمال من القصائد القصيرة إلى مطولات شعرية، ومما تجدر الإشارة إليه أن البعد الوطني السياسي قد يتجلى في النصوص مع أحداث الأمة من هزائم وانتصارات ورفض الاستعمار والذل والهوان"⁴ ومما يدخل إلى البعد السياسي، الأدب السياسي الساخر والذي أصبح يمثل للبعض أسلوبا تعبيريا ولغة رفض مختزلة في العقل الباطن للإنسان

¹ خرفي محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري، ص130.

² المرجع نفسه ص131.

³ المرجع نفسه:ص139.

⁴ الرشيدى بدر نايف: صورة المكان الفنية في شعر احمد السقاف، رسالة ماجستير، كلية الأدب والعلوم بإشراف عبد الرؤوف، 2011، ص64.

العربي لان هذا الأدب يكشف عن مدى الإحباط واليأس النفسي الذي يعاني منه المثقف العربي فضلا عن السلبية التي يحي بها.

" لقد أصبح الأدب السياسي الساخر متنفسا للمقهورين والمقموعين ومكلمي الأفواه جراء ما تقوم به بعض الحكومات المستبدة، ولقد صدق الماغوط حينما سئل ذات مرة عن ماهية السخرية فأجاب " أن السخرية في ذروة الألم" ولقد أسهمت الكتابة الساخرة في كسر حاجز الخوف لدى الشعوب المقموعة، مما يعد إفرزا للبعد السياسي، وتأثر المكان بظهور ما اصطلح عليه ب (أدب السجون) والمعتقلات"¹ إذ شكل القمع داخل عتمه السجون تمظهر أدب يفضح الواقع المخزي ويصور بشاعة وفضاعة الألم النفسي والقهر الروحي.

03/ البعد التاريخي والديني:

إن العودة للتاريخ، ليس المقصود منها إعادة كتابة هذا التاريخ بأحداثه ووقائعه الحرفية، فهذا ليس عمل الشاعر، وإنما إعادة قراءة هذا التاريخ والواقع وفق رؤية وموقف الشاعر، وفي الوقت نفسه، وفق الرؤيا التي تتسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة الشعرية ، فيكون هذا التداخل بين اللغوي والتاريخي والديني لإضافة نصية جديدة وحقيقة تجاوز الموجود حاضرا وماضيا لرسم المسار الشعري الجديد والمتميز، فالشاعر يسافر للماضي عبر المكان، ويتكئ على المكان ليجعله مكونا شعريا، فكل مكان له حمولته التاريخية والدينية وذاكرته الجماعية " وكلما تضاعفت أزمة الهوية لدى المجتمع وتعمق الإحساس بضياع الوطن ويقدر ما يحس الشعراء الاقتلاع من ذواتهم والغربة في أرضهم

¹ الرشيدى بدر نايف المرجع السابق: ص 64

يتعزز ارتباطهم بالشخصية ويتكاثف جهدهم في بناء مدن متخيلة باللغة أو تصوير أوطان حلمية من خلال التاريخ"¹.

إن المكان التاريخي مرتبط بالزمن لأن لهذا الأخير الدور الكبير في تشكيله، فكل تجربة شعرية تستند إلى المكان، تستلم الزمن وتتشكل عبره تحاوره وتحاول تجاوزه في الآن ذاته و " المكان في الحقيقة عبارة عن هوية تاريخية مادية مائلة للعيان قادر بتمثله للعيان على اختراق التاريخ وإظهاره... فالمكان ما هو إلا انعكاس للزمن"² ومنه فالعودة إلى التاريخ ليس معناها اجترار الماضي وإعادة كتابته مرة ثانية بل هو إعادة قراءة التاريخ والواقع وفق رؤية حديثة جديدة يؤمن بها الشاعر وتنسجم في روح العصر.

فالشعراء يتفاوتون في توظيفهم للرمز التاريخي بناء على أهدافهم المتوخاة ومرجعياتهم التاريخية والدينية" فقد يجمع الشاعر الواحد الكثير من الدلالات في النص الواحد ويربط بين أماكن كثيرة، في الوطن العربي ليتمكن القارئ في أي مكان من فهم المقصود من العودة للتاريخ هي عودة للذات وتعويض عما ذهب وفقد ومنه فكل مكان في فلسطين (القدس - حيفا - يافا عكا ...) هو فلسطين"³.

وهذا الإلغاء للحوجز التاريخية الزمنية والمكانية هو الذي يجعل النصوص تتلاقى وتتلاقح فيما بينها وتشكل من خلالها بنى النص وجمالياته المتعددة الوظائف إن توظيف الأسماء المكانية والتاريخية ومحاكاة هندستها لا يضيف للنص ولا للقارئ أي شيء ما لم يصهر الشاعر كل ذلك في البنية العامة للنص وما لم يعبر بصدق عن رؤيته.

¹ إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي ، الجزائر انموذجا 1962/1925، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط1، 1997، ص196.

² مها حسن يوسف عوض ، المكان في الرواية الفلسطينية 1988/1948 ،رسالة ماجستير، مخطوطة ،جامعة اليرموك ،الأزون ،1991، ص34.

³ . المرجع السابق :ص35

ومنه فالمكان شأنه شأن أي عنصر من عناصر البناء الفني يتحدد عبر الممارسة الواعية للفنان فهو ليس بناء خارجيا مرئيا ولا حيزا محدد المساحة ولا تركيبا من عرف أو أسيجة بل هو كيان من الفعل المغير والمحتوي على تاريخ ما وما على الشاعر إلا أن يعيد له الحياة من جديد.

وتظهر جماليات المكان التاريخي والثقافي من خلال الإحساس بمأساة الوجود الإنساني المخضب بالرحيل والنفي والموت فالموت لا يهدد الشاعر وحده بل يشمل المكان وبكل ما يحيط به.

8/ دلالات المكان:

ترتبط دلالات المكان فيما بينها ارتباطا وثيقا، ولا تتوقف تلك الدلالات عند حدود بعينها، بل تمتد للإفصاح عن مكونات شعورية وعقلية تسابق خيال المبدع نفسه.

أولا: الدلالة الدينية:

تعتبر الدلالة الدينية من أكثر الدلالات ارتباطا بالمكان كون الدين يشكل مرتكزا أساسيا في وسط الشعوب " فانفتاح المكان على المقدس، يتجه إلى البحث في علاقة التجربة الشعرية في النص المقدس ، باعتباره أساسا دينيا استلهم علاقة المكان بأحد المكونات الثقافية الأساسية"¹

إضافة إلى ذلك ارتباط المقدس بالعلاقة الروحية التي يضيفها الشاعر على الأمكنة مستلهما بذلك كافة النصوص الأدبية الدينية التي تميزت في أكثر من شكل هو الأكثر شيوعا في الكتب السماوية ، التوراة الإنجيل والقرآن الكريم وكذلك ما ورد في قصص الأنبياء مثل قصة يوسف عليه السلام ، والتي تحاكي بما يجري له من تخلي الأخوة عن

¹ البلهيد أحمد سعود: المكان في الرواية السعودية ، ص163

بعضهم وغيرها من القصص ، " فقد اتجهت الرؤى الشعرية نحو النص أو الرمز الديني ، ويتضح أن الرمز الديني يساهم في تشكيل الرؤى الشعرية التي تتجاوز الواقع إلى المتخيل، وتحاول من خلالها تأسيس الجديد التميز"¹.

ثانيا: الدلالة التاريخية:

يبقى المكان متصلا بالتاريخ عبر كل الأزمان وهذا بإعادة الأديب قراءة الماضي وتاريخه وفق رؤية الواقع الحالي والتي تتسجم مع روح الشعر وخصوصيات الكتابة" فيكون هذا التداخل بين اللغوي والتاريخي لإضافة نصية جديدة وحقيقية"² إن الإضافة النصية الجديدة هي التي تتجاوز الحاضر والماضي لترسم ملامح المستقبل، عندما تبرز،" وكأننا أمام زمنين تاريخيين:

1 - زمن تاريخي يمثل تجارب البشرية على خط الزمن الطبيعي.

2- زمن تاريخي يتجسد عبر المقابل الخارجي لعالم متخيل تصنعه مخيلة الروائي"³

ويستند الأديب إلى الماضي والتاريخ ولكن بصورة جديدة، وكأن المبدع يستقي عملة من تاريخ مضى ليسترشده عبره على فترة قادمة" ليس معنى هذا الشاعر يقحم التاريخ في المكان أو مكان التاريخ قصريا، دون مبرر فني أو موسوغ موضوعي، بل إن كل مكان يحمل تاريخا"⁴.

وبشير إدوارد سعيد (ت 1935) " إلى استثارة الماضي وتوظيفه في تأويلات الحاضر باعتباره حالات ليست مشابهة تماما للحاضر وإنما هو موروث يسهم بشكل ما، في قيم

¹ البلهيد أحمد سعود: المكان في الرواية السعودية : ص 163

² خرفي محمد صالح: جماليات المكان في الشعر الجزائري ،ص169.

³ البلهيد احمد سعود: جماليات المكان في الرواية السعودية، ص 117.

⁴ زايد عبد الصمد: المكان في الرواية العربية "الصورة والدلالة"ط1 ، دار محمد للنشر، تونس ، 2003 ص133.

إشكالية الحاضر¹ وأوجد أن التاريخ هو مثلث إلهامي للتأملات الشعرية في المكان وهذا لإحياء الموروث التاريخي عبر العصور.

ثالثا: الدلالة الواقعية:

إن المكان الواقعي يختلف على المكان الفني، والملفت أن المبدع لا يكون منتبها إلى تلك الدلالات أثناء إبداعه، وذلك حسب قول هيرقليطس (نحو 540-480 ق.م) " أنت لا تنزل إلى النهر مرتين لأن هناك أبدا مياها تجري " لأن المكان داخل النص لا بد أن يكون متغيرا بتغير السياق الذي يدور فيه² لكن يجب الإشارة إلى أن هذا المكان الواقعي يخضع إلى الأيديولوجيات التي ترعرعت فيه.

9/ بنية المكان:

يأخذ المكان أهمية في الشعر الفلسطيني ، لا باعتباره موضع ومنطلق هذا الشعر في ظل ارتباطه بقضية الأرض فحسب ، بل لأنه يمتد إلى تشكيل شعرية تتميز بطبيعة خطابه الموجه إلى الذات والمرتبطة بالهوية، وهو من ناحية أخرى مفتوح على بينية فكرية تشكل في الغالب كيانا حاملا لقضايا الأرض كالوطن والانتماء والوجود وبها التداخل تكتسب البنية المكانية هويتها الشعرية ، إذ لم توظف كقيمة منعزلة وإنما اكتسبت في النص الشعري بعدا دلاليا يتسع لكل ما يمكن أن يثيره المكان قيم وعلاقات تربط بين الخيال والواقع ، وما ينتج من فضاءات ، فالعلاقة بين وصف المكان والدلالة أو المعنى ليست دائما علاقة تبعية وخضوع، فالمكان ليس مسطحا أو أملسا ، أو بمعنى آخر ليس محايدا أو عاريا

¹ سعيد إدوارد : الثقافة والإمبريالية تر كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت ط2، 1988، ص75

² حمادي صبري مسلم: دلالة البعدين المكاني والزمني ، مقالة نقدية ضمن الموقع اليمني، السبت 2 فبراير 201

من أية دلالة محددة"¹، ومهما كانت الأبعاد التي يمكن أن يثيرها فإنه يكتسب لغة خاصة شعريا "ويقوم على بنية تتنوع بتنوع الأبعاد والحمولات ، وتساهم في إنتاج المعنى من حيث هي بنية متفرعة عن بنية شاملة لأن الوعي بالمكان لا يتم إلا من خلال تحويل الصورة المادية إلى صورة حسية باللغة صورة تفرز لغتها وتراكيبها وخصائصها عبر ترشيح متبادل بينها وبين وعي الشاعر بالحياة"².

" وإنتاج بنية المكان في النص الشعري وهو إنتاج لدلالة نصية تتجاوز المرئي والبصري، في الصورة إلى الذاتي والمتخيل، حيث يشير نوع المكان إلى خلفيته ويحول العوالم الصغيرة المألوفة النافذة لعوالم أكبر محملة بالرموز والدلالات"³، فالصورة الشعرية تقدم المكان باعتباره صورة لمتخيل يتجاوز الواقع ويكسب الأشياء قناعا بصريا يختلف عن حالته الطبيعية أو وجوده الواقعي، لأنه ينتقل من نظام وسياق عام، إلى نظام اللغة وتحولاتها ، " فبنيات الأرض والسجن والطريق والمقهى والمسجد والكنيسة والموانئ وغيرها تحتفظ بقيمتها الثابتة من حيث هي أمكنة لها معاني خاصة بها لكنها بدخولها في علاقات نصية تتحول إلى إنتاج بديل للمكان يحتفظ بثوابته ومرجعياته الواقعية لكنه يتخلى عنها إلى ما يضيفه الخيال لها من قيم وعلاقاتها وأبعاد جديدة أفرزتها طبيعة التجربة ولكل مكان من هذه الأماكن أن يحمل دلالاته وسياقاته"⁴.

وباعتبار علاقة المكان بالموضوع الشعري ودلالته في النص الفلسطيني فإن تناول بنية المكان يبدو محددًا أساسيا لقضاياها الجمالية والفكرية بالنظر إلى ارتباطه بخصوصية

¹ حميد لحميداني ، بنية النص السردى في منظور النقد الأدبي ، المركز الثقافي العربي بيروت ، لبنان ، ط3، 2000 ص70.

² ياسين النصير، البنية المكانية في القصيدة الحديثة، مجلة الآداب، بيروت، ع1-3 1986 ص210.

³ المرجع نفسه، ص211

⁴ مدحت الجبار: جماليات المكان في شعر صلاح عبد الصبور، عيون المقالات، ص23.

تجربة الأرض، وما تحمله من أرث تاريخي وسياسي وثقافي خصب النص الشعري ووجه خطابه إلى قضايا الأرض باعتبارها تجربة مكانية شاملة وخلفية للقصيدة، إذ تبدو الأمكنة جزء من التجربة الحياتية سلبا إيجابا والشاعر يقرأ أسرار الأمكنة وخفاياها ويقرأ جغرافيتها وتاريخها الماضي والحاضر والمستقبل ولا بد للمكان أن ينصهر ويذوب في دم النص¹

ولكي نفهم طبيعة المكان في الشعر الفلسطيني فإنه على المستوى الشكلي، تركز على تنويعات صاغت موضوع الأرض باعتباره الوحدة البنيوية الشاملة التي أسهمت في صياغة بقية الموضوعات وظهرت عند الشعراء عبر مقولات تاريخية وفلسفية واجتماعية وواقعية تبلورت فيما عرفه الشعر الفلسطيني من علاقاته بواقعه وتاريخه ومن طبيعة الموضوعات التي ارتبطت بالأمكنة تتميز بطبيعة علاقتها بالتجربة التي تتناولها لأن موضوعات المكان تأسست على تصور خاص بتلك التجارب التي اتجه الشعراء عبرها إلى استعادة المكان المفقود وهو البعد الاجتماعي والفكري وتؤكد البنيوية في هذا الصدد أهمية العلاقة بين المكان والمجتمع فنقول: إن المجتمع يمثل السكن لا تمثيلا تأمليا ولكن تمثيلا بنيويا أي أن بنية المجتمع وبنية السكن هوية واحدة²

وعند متابعة المعجم اللغوي لبنية المكان نلاحظ " أنه يدور في محاور أساسية تشكل حقولا تمتد في المدونات الشعرية المختلفة ، وهذه لمحاور تتمركز حول محورين رئيسيين ويتعلق الأول بما يمكن أن نسميه الجغرافيا الشعرية ممثلة في لغة المكان الطبيعي والجغرافي وأسماء المدن وأماكن الألفة كالقريّة والبيت وغيرها من الأمكنة التي تفرعت عن موضوعات الأرض وما أنجته من فضاءات طبيعية مثلث بالأساس التجلي الفضائي لنفي الآخر ولا

¹ إبراهيم نمر موسى: أفاق الرؤيا الشعرية ، دراسة في أنواع التناص في الشعر الفلسطيني، ص 239 .

² ياسين نصير: بنية المكان في القصيدة الحديثة ، ص 213

يكون لها معنى في النص إلا فيما تختزنه من علاقات برغبة الذات أما الحقل الثاني فهو الذي يرتبط بما يؤدي مفهوم الأماكن الخفية "1.

ويتعلق بالعوالم الشعرية التي تلجأ إليها الذات وتأملاتها كالحلم، وهي كثيرا ما ترتبط بمفهوم اللجوء والحماية، لذلك فإنه لا يمكن حصر هذا الحقل الدلالي، لأنه يعتمد على تأويل الصورة الشعرية وإخضاع معنى الأشياء وتقديم فرضيات تمس هذا التأويل.

¹ جبرار جنيت وآخرون: الفضاء الروائي تر، عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط1، 2002، ص128.

الفصل الثاني

تجليات المكان في شعر

فدوى طوقان.

الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة:

تمهيد:

تختلف الأماكن شكلا وحجما ومساحة منها الضيق المغلق ومنها المتسع المفتوح والمرتفع والمنخفض، إنها أشكال انتقلت من الواقع إلى النصوص الأدبية الشعرية منها والنثرية، وإذا كان المكان المفتوح يرتبط بالشاسع والرحب فإن المغلق يمثل الحيز الذي يحوي حدودا مكانية معينة من خلال هذا تعددت صور الأماكن في شعر فدوى طوقان وهذا ماسنقف عليه في دراستنا هذه وسنحاول استنتاج الأمكنة الموظفة في شعرها.

1/ الأماكن المفتوحة:

1-1 المدينة:

إن توظيف المدينة في الشعر الفلسطيني، يتصل في توظيفها في النص " باعتبارها علامة سكانية استلهمها الشاعر وحملها تجاربه، لأنها شكلت من مسارات حياة الشتات، وبعثا لاسترجاع صور (المدينة/ الوطن) وبالتالي فإن الموقف من المدينة تنوع بتنوع عناصر الحياة"¹

والمدينة فضاء جغرافي مفتوح تجمع بين عدة أشخاص سواء كانت بينهم قرابة ام لم تكن، تمتاز بكثافة السكان وكثرة تنقلاتهم "وهي منظومة علاقات تختلف بها حياة البشر عن البوادي والأرياف، ذات وظيفة سيكولوجية واقتصادية"² والحق أن علاقة الإنسان الفلسطيني بالمدينة هي علاقة تلاحمية تلازمية "فهي تجسد حلقة وصل الفلسطيني برحم الأرض حيث يكثر الشعور بها تجذرا وتعمقا ،حين يتعرض وطنه للزهب والاحتلال"³ لقد حملت المدينة في

¹ جمال مجناح :المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر،ص116.

² مصطفى الكيلاني: الرواية والتأويل، سردية الرواية في الرواية العربية، أزمنة للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط 1 2009، ص93 .

³ فريديس الفرابي : مجلة اللغة العربية وآدابها عملية محكمة العدد الأول السنة 1439/14هـ، ص5.

الشعر الفلسطيني رموزاً فنية ودلالات حثيثة تسهم في تشكيل البنية الجمالية للنص الأدبي المعاصر "فهي رمز للعذاب، ورمز للقبح والقسوة، ورمز للمرأة أو رمز للوطن بأجمعه"¹ أما المدينة في شعر فدوى طوقان تتراءى لنا في عدة دلالات متباينة تتشكل حسب الظروف السياسية والاجتماعية التي تعيشها مدنها، حيث نجد الشاعرة تعلن في قصيدتها "مدينتي الحزينة" أن نكسة 1967 كانت ثمرة من ثمار التخاذل العربي حيث تقول:

يوم رأينا الموت والخيانة

تراجع المد

وأغلقت نوافذ السماء

وأمسكت أنفاسها المدينة

يوم اندحار الموج، يوم أسلمت

بشاعة القيعان للضياء وجهها، ترمد الرجاء

واختنقت بغصة البلاء

مدينتي الحزينة"²

فالمدينة في نظر فدوى تظل تمسك أنفاسها مختنقة بغصة البلاء وتقول:

والحزن في مدينتي يدب عارياً

مخصب الخطى

والصمت في مدينتي

الصمت كالخيال رابض

أواه يا مدينتي الصامته الحزينة³

¹ فريديس الفرابي المرجع سابق ص5.

² فدوى طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1993ص.370.

³ فدوى طوقان: الديوان، ص371.

حيث ترى الشاعرة أن المدينة مكبله بحبال الصمت يخيم عليها الحزن من وطأة الموت والهزيمة

ونجدها في قصيدة الطاعون تقول:

يوم فشا الطاعون في مدينتي

خرجت للعراء، مفتوحة الصدر إلى السماء

أهتف من قرارة الأحزان بالرياح

هبي وسوقي نحونا السحاب يا رياح

وانزلي الأمطار تطهر الهواء في مدينتي¹

إن التجارب التي خاضها الناس في بلادنا مع الطاعون و خاصة أيام الحروب التي تتراكم فيها الجثث دون دفن ، فيعظم خطره منتهزا تلك الفرصة القاتمة من تاريخ الأمم لينفض على ما تبقى من الأحياء، هذه الصفات المعروفة عن المرض أعطت الشاعرة القدرة للتعبير عنه، فهذه القوة الغازية اقتلعت شعبنا من أرض آبائه وأجداده و قتلت شبابه وشيوخه وأبناءه فجعلته طاعونا قدرا يخيم على المدن ويفتك بها ، فهناك علاقة توافق بين المحتل والطاعون لاشتغال كل منها على وسائل التدمير النفسي والمعنوي أبشع صور الخراب الذي يحل بالجسد أو بالأرض فالشاعرة تخرج إلى العراء وتدعو السماء فهي قادرة على تطهير الهواء من الطاعون فبنزول المطر تطهر الأرض من الطاعون.

- وقد استحضرت الشاعرة في ديوانها بعض المدن نذكر منها:

- مدينة طوباس:

مدينة طوباس من المدن التي لا تتجزأ من أرض فلسطين فهي أرض الأبطال والمعارك تقول الشاعرة في قصيدتها الفدائي والأرض:

¹ فدوى طوقان : الديوان ، ص، 370 .

طوباس وراء الربوات
آذان تتوتر في الظلمات
وعيون هاجر منها النوم
الريح وراء حدود الصمت
تندلع تدمدم في الربوات
تلهث خلف النفس الضائع
تركض في دائرة الموت !

.....

يألف هلا بالموت
واحترق النجم الهاوي ومرق عبر الربوات
في أرض لن يقهرها الموت!
أبدا لن يقهرها الموت"¹

في هذه المقطوعة تمتزج مشاعر الحزن و الأسى ، والفخر والإعجاب بالبطل الفلسطيني مازن أبو غزالة الذي استشهد في مدينة طوباس وذلك في مواجهة مباشرة بين رجال المقاومة والجيش الإسرائيلي، فالشاعرة ترحب بالموت في هذه المدينة وتتحداه لأنه يقهر المدينة.

- مدينة يافا:

تقول الشاعرة في قصيدتها " لن أبكي "
على أبواب يافا يا أحبائي
وفي فوضى حطام الدور
بين الردم والشوك "²

¹ فدوى طوقان: الديوان، ص 393.

² المرجع نفسه: ص 394.

في هذه الآبيات الشعرية، صورت الشاعرة في هذه القصيدة بعضاً من جرائم المحتل الغاشم الآثم ، وتمثلت في هدم وتخريب دور الفلسطينيين ، وإجبارهم على مبارحة ديارهم وأراضهم، وقد انطلقت الشاعرة من المشهد الفظيع الذي تركه الصهاينة بمنازل الفلسطينيين بمدينة يافا السليبية.

- القدس:

تشكل القدس خلفية مهمة لدى الشعراء الفلسطينيين لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية، فالقدس لن تنسى مادام الشعراء يستدعونها من جديد في نصوصهم الشعرية. ولا يتكوّن عليها فقط بل يعيدون كتابتها وانتشالها من هول النسيان فيتلبس بها الشاعر صراحة أو بما يدل عليها، فتبرز في النص كما برزت في العقل والذاكرة في صورة جميلة مرة وفي صور مأساوية مرات كثيرة، حيث تقول الشاعرة:

القدس على درب الآلام

تجدت تحت صليب المحنة

تنزف تحت يد الجلاذ

والعالم قلب منغلق

دون المأساة"¹

كان اهتمام الشاعرة بالقدس عظيماً لما تشغله القدس من مكانة دينية، ولما تتعرض له من تهويد وتغيير لملامحها التاريخية، بفعل السلطة السياسية المحتلة للأرض والإنسان الفلسطيني، فالقدس في نظر الشاعرة تسير على درب الآلام فهي تراها جريحة تئن تحت يد الجلاذ وهو المحتل الصهيوني الذي لا يرحم.

¹ فدوى طوقان : الديوان، ص386.

1-2 القرية:

تعد القرية فضاء جغرافيا لها حدود تفصلها عن القرى والمدن المتجاورة، طبيعة الحركة فيها على حسب المرافق التي تتوفر عليها وقد ورد ذكر الضيعة كمرادف للقرية ، في قصيدة "رسالة إلى طفلين في الضفة الشرقية" حيث تقول الشاعرة:

يغرقتني في لجة الحنين

وبالحنين والذكر

افزع يا صغيرتي إلى الشريط

ويملاً المكان صوتك الصغير:

خذوني إلى بيسان

إلى ضيعتي الشتائية

الله يا بيسان

كانت لنا أرض هناك

بيارة حقول قمح، ترتمي مد البصر

تعطي أبي خيراتها

القمح والتمر

كان أبي يحبها يحبها

كان يقول لن أبيعها حتى

ولو أعطيت ملاًها ذهب

وأغتصب الأرض التتر

وفي حوار دائم مع شخصية ترسمها الشاعرة لتعبر عن معاناتها الحسية والنفسية ، فهاهي الشاعرة تجسد الواقع الفلسطيني المأساوي المعاش بكلماتها ، وقد ربطت شوق المغتربين ببعض المدن والقرى الفلسطينية ، يافا، بيسان...

بيسان هذه الضيعة التي تحن لها الشاعرة، تلك الأرض المليئة بخيراتها والتي اغتصبها النتر وهي ترمز بالنتر للمحتل الصهيوني في همجيته ووجبروته ، فالشاعرة تربطها بالمكان علاقة حميمة فهي تنتظر بكل شوق أن يأخذوها إلى ضيعتها الشتائية بيسان.

1-3 الطريق / الدرب :

هو الممر الواسع الممتد.

وقد ورد لفظ الطريق في ديوان الشاعرة حيث تقول في قصيدتها حمزة :

أمس أبصرت ابن عمي في الطريق

يدفع الخطو على الدرب بعزم ويقين

لم يزل حمزة مرفوع الجبين

فحمزة حتى وإن هدم المحتل بيته، فهو لن يحرمه من السير في الطريق مرفوع الجبين.

1-4 الجسر:

يعتبر الجسر مكانا للعبور من ضفة إلى ضفة، ويحضر لفظ الجسر عند الشاعرة مثقلا بالأحزان والذكريات الأليمة لأنه بدل أن يكون مكانا للعبور والارتياح صار مكانا للمعاناة والانتظار وفي هذا الصدد تقول الشاعرة في قصيدتها " أهات أمام شباك الصاريح":
عند جسر النبي .

وقفتي بالجسر أستجدي العبور

آه أستجدي العبور

اختناقى، نفسي المقطوع محمول على

وهج الظهيرة

سبع ساعات إنتظار

مالذي قص جناح الوقت ؟

من كسخ أقدام الظهيرة ؟

يجلد الغيض جبيني

عربي يسقط ملحا في جفوني:¹

تقف الشاعرة عند جسر النبي تريد شراء تذكرة للعبور، فإذا بها تبقى سبع ساعات تنتظر تحت وهج الظهيرة الخانق.

وتقول كذلك:

كلعنة سوداء هنا يرابطون

قد نسفوا الجسور

وحرموني منك يا صغيرتي

وحرموا العبور"²

شبهت الشاعرة هنا جنود الصهاينة باللعنة السوداء التي حلت بالوطن، حيث نسفوا الجسور وحرموا الناس من العبور فبزوال الجسر، زال معه كل أمل للعبور للضفة الأخرى.

وفي قصيدة حرية الشعب تقول:

ويردد النهر المقدس والجسور

حريتي

حريتي³

هنا في نظر الشاعرة حتى الأماكن تردد حريتي حريتي، لأنها جزء لا يتجزأ من هذه الأرض الطيبة.

1-5 النهر:

"النهر منقعر من الأرض بسمته الامتداد والتعرج عبر مسافة تطول أكثر مما تقصر، فهذا المنقعر من الأرض، يمضي ممتدا على مدى معين وفي ذلك انتشار له، والنهر في جريانه

¹ فدوى طوقان: الديوان، ص 407.

² المرجع نفسه: ص 379.

³ المرجع نفسه: ص 370.

يرمز إلى الزمن والزوال، لأنه يجري دائما إلى الأمام دون عودة ولكنه يرمز أيضا للتجدد الدائم"¹

فالمياه برمزيته تدل على الخصب والعطاء والنماء والخير والبركة والحياة والأمل المنتظر"² وكثيرا ما تردد هذا الفضاء في قصائد الشاعرة بدلالات مختلفة حيث تقول في قصيدتها: " رسالة إلى طفلين في الضفة الشرقية "

حرموني منك يا صغيرتي

وحرموا العبور

الموت رابض على النهر"³

فبعد أن كان النهر مكانا يبعث على الهدوء والطمأنينة والخير في صورته الطبيعية حوله الصهاينة إلى مكان موحش يرتبط بالموت والخوف وتقول :

وأعبر النهر

وجسرى الخيال يا أحبتي

وجسر الذكر

لو قدروا لقتلوا حتى الخيال

لسفكوا حتى دماء الحب والحنين"⁴

في هذا المشهد تتمنى الشاعرة أن تعبر هذا النهر فترسم طريقا لمخيلتها المثقلة بالأحزان عساها تجد طريقا آمنا حتى ولو في الخيال.

حيث تقول:

أحبتني الصغار خلف النهر يا أحبتي

¹ سول بلاوي : عن مجلة العلوم الإنسانية المحكمة ، الموقع: www.alnoor.se./article-asp-id20.5065

² محمد فتحي الأعصر، دلالة لمكان في الشعر الأموي ،مجلة الكوفة، العدد11،،2017 ص214.

³ فدوى طوقان: الديوان، ص 380.

⁴ المرجع نفسه : ص 338.

عندي أقاصيص لكم كثيرة

غير حكاية سندباد البحر

غير قصة الجني والصيد¹

تشير الشاعرة في هذه الأبيات إلى الظلم والقهر الذي يعيشه الشعب الفلسطيني في أرضه (خلف النهر) فالحكايا التي كانت تسرد للأطفال عن سندباد البحر والجني والصيد لا مكان لها اليوم في ذاكرة الأطفال فهم ليسو بحاجة إليها لأنهم يسمعون كل يوم عن آهات آلام الشعب .

وتقول في مشهد آخر:

وهب الشهم منتفضا وراء النهر

أصبحوا ها حسان الشعب

يسهل واثق النهمة

ويفلت من حصار النحس والعتمة²

وتقول:

النهر ماض راکض إلى مصبه

وخلف منحى الدروب، في

رحابة المدى

ينتظر النهار

من أجلنا ينتظر النهار³

¹ فدوى طوقان : الديوان ص : ص382.

² المرجع نفسه ،ص396.

³ المرجع نفسه : ص423.

فالنهر هنا من في نظر الشاعرة ماض إلى مصبه لا محالة، ينتظر النهار الذي هو رمز للاستقلال كما ينتظره الشعب الفلسطيني.

1-6 الجبل:

الجبل هو ما أرتفع من الأرض وعظم وطل، وللجبال والمرتفعات رهبتها وجمالها " فقد تعددت أوصافها لدى الشعراء منذ القديم لارتباطهم بها فهي تشاركهم معاناتهم وذكرياتهم"¹.

ومنه الشاعرة تستذكر، أجمل صورة عن الجبل حين تقول:

ونكتة ذكية يرسلها عمر

لوجهك القمر

هل ذاكر أيام كنت تطلع الجبل

تحمل لي إضمامة من زهر الجبل

قرن الغزال والشقائق الحمراء والزرقاء

فهي تخاطب الفتى عمر وتسأله أن يجيبها إن كان يذكر تلك الورود الجميلة التي كان يحضرها لها من سفح الجبل فالجبل يمثل للشاعرة فضاء للجمال والحرية والأمل.

1-7 الصحراء:

هي منطقة جغرافية يندر بها النبات، ويقل فيها تساقط الأمطار ولذلك تقل فيها الحياة، وهي فضاء ممتد قفر لا ماء فيه كالأنهار، جوها جاف، تضم الكثير من التضاريس كالجبال والأودية.

ونجد أن الشاعرة فدوى طوقان تتخذ من الصحراء مكانا خفيا يتمركز في أعماق القلب فيعطي بعدا دلاليا آخر لما هو عليه في صورته الطبيعية حيث تقول :

آه لا تملأ بطاقتك لي

بشذى الذكرى وبقايات الهوى

¹ محمد فتحي الأعصر: دلالة المكان في الشعر الأموي مجلة الكوفة العدد 11، 2017، ص 219.

بين قلبي ورفاه الحب صحراء

حبال القبظ فيها تلتوي

تلتف من حولي أفاعي

تخفق الزهر تفح السم فيه¹

تفتتح الشاعرة هذا المقطع ب "آه" هذا الاسم الذي يحمل في طياته كل معاني التفجع على الماضي ، الذي لم يبقى منه إلا بعض الذكريات المتناثرة في ذاكرتها الحزينة ، ترسل لها بعض باقات الهوى، فقلب الشاعرة والحب الذي تتوق إليه صحراء شاسعة بكل ما تحمله هذه اللفظة من معاني لأن هذه الأفاعي الملتفة حولها لم تترك مجالاً لأي أمر جميل في هذا الوجود.

8-1 الضفتان:

الضفة هي حافة اليابسة المجاورة للمسطحات المائية الكبيرة مثل المحيطات والبحيرات.. والضفتان بالنسبة لفلسطين هما الضفة الشرقية والضفة الغربية وقد احتلت إسرائيل الضفة الغربية في حرب م 1967م مما ولد أزمة نفسية لدى الفلسطينيين خاصة الشعراء وهي تضم القدس الشرقية وقطاع غزة ومنه ظلت إسرائيل هي من لها حق السيطرة على الضفة الغربية.

تقول الشاعرة في قصيدتها " حرية الشعب "

ويردد النهر القدس والجسور

حريتي

والضفتان ترددان : حريتي!

والرعد والإعصار والأمطار في وطني

تردها معي

¹ فدوى طوقان : الديوان ، ص410.

حريتي! حريتي! حريتي"¹

تؤكد الشاعرة هنا أحقية الشعب الفلسطيني في استرداد أرضه وحريته، فكل تضاريس هذه الأرض تتادي بالحرية حتى الضفتان.

2/الأماكن المغلقة:

1-2 البيت/ الدار:

" البيت هو ركننا في العالم " ² وهو من الأماكن المغلقة التي توحى بمعنيين متناقضين يدل تارة على معنى الراحة والطمأنينة باعتباره ملجأ يلجأ إليه الإنسان في حالة شعوره بالتعب، وتارة يعبر عن الشقاء والتعاسة إذا لم يجد فيه راحته.

ولطالما عد البيت والوطن والأم من المترادفات، ومابينهم من فروقات معنوية، فإننا عندما نستحضره تتراءى لنا الأم بين ثناياه فيتمظهر الوطن كأم وتتمظهر الأم كوطن، ويظهر البيت جامعا بين الداليتين، فالبيت هو " هو السجل الذي يضم مشاعر الإنسان وحياته بداخله"³

لقد أخذ البيت في شعر فدوى طوقان دلالة خاصة لأن كل بيت في فلسطين هو بيت لها وفي قصيدتها "حمزة" تقول:

كانت الخمسة والستون عام

صخره صماء تستوطن ظهره

حين ألقى حاكم البلدة أمره

أنسفوا الدار وسدوا

ابنه في غرفة التعذيب

¹ فدوى طوقان: الديوان، ص 428.

² باشلار غاستون: جماليات المكان، ص 36.

³ ينظر دلالة المكان في قصص الأطفال لياسين النصير، ص 27.

ألقى حاكم البلدة أمره¹

كان حمزة عمره خمسة وستون عام ، وكان انحناء ظهره دليل ضعفه وقلة حيلته ،
عندما قرر الاحتلال أن يعتقل ابنه ويهدم منزله الذي يأويه وعائلته ، فالمحتل الذي ينادي
بالسلام بلسانه يده تمسك السكين وتطعن في قلب الوطن.

وفي ذات القصيدة تقول :

طوق الجند حواشي الدار

والأفعى تلوث

وأتمت ببراعة اكتمال الدائرة

وتعالق طرقات أمره

اتركوا الدار وجادوا بعطاء

ساعة أو بعض ساعة²

وارتفعت ثم هوت غرف الدار الشهيدة، في هذا المشهد الحزين تصور الشاعرة منظر
تهديم بيت حمزة، حيث تهاوى الركام وسقط المنزل وسقطت الأحلام والضحكات والذكريات
شهيده كأبناء الشعب الحزين وبقي في القلب غصة الفراق فالحنين إلى البيت أقوى أنواع
الحنين

وتستحضر الدار مرة أخرى في قصيدتها إلى صديق غريب تقول:

ولو أنني يا صديقي كأمس

أدل بقومي وداري وعزي

لكنت إلى جنبك الآن عند

شواطئ حبك أرسى

¹ فدوى طوقان الديوان ص 418

² المرجع نفسه، ص 419.

سفينة عمري

لكننا كفرخي حمام"¹

فهاهي الشاعرة تستحضر في بداية سيرتها صديقها الغريب الذي أخبرها بالاستعداد للحرب ثم يفضل الهروب، لكن فدوى اختارت الصمود والبقاء في أرضها وخاصة في مدينتها العتيبة نابلس مع رجالها ونسائها وأطفالها

2-2 السجن:

"السجن مكان تحبس فيه حريات الناس بغض النظر عن أصنافهم، وأسباب حبس حرياتهم، فهو مكان له حدود وحواجز لا يستطيع من بداخله الخروج منه إلا بتحطيم هذه الحدود والحواجز"²

" ففضاء السجن يحمل معاني تنتجها تأملات العزلة "³

يعد السجن أحد الأمكنة المغلقة والممانعة لحرية الفرد وكان توظيفه في النص الشعري لفدوى طوقان يوحي ببعض الدلالات التي يمكن أن نلمحها في قصيدتها " حرية شعب " حيث تقول:

سأظل أحفر أسمها وأنا أناظل

في الأرض في الجدران في الأبواب في شرف المنازل

في هيكل العذراء في المحراب في طرق المزارع

في كل مرتفع ومنحدر ومنعطف وشارع

في السجن في زنزانة التعذيب في عود المشانق

¹ فدوى طوقان : الديوان، ص 374.

² حنان محمد موسى: حمودة الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب العالم الحديث جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط2007، ص100.

³ جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد 1970، ص 502.

رغم السلاسل رغم نسف الدور رغم لظى الحرائق

سأظل أحفر أسمها حتى أراه

يمتد في وطني ويكبر

ويظل يكبر

حتى يغطي كل شبر في ثراه¹

في هذا المقطع من القصيدة تتحدث الشاعرة عن الحلم الذي يراود كل فلسطيني، ألا وهو نيل الحرية، الحرية التي لا تقدر بثمن والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالأرض المغتصبة، فلا حرية بدون أرض ولا أرض بدون حرية، فالشاعرة تردد اسم الحرية لأنه حلمها في الحياة، وهي تريد أن تكتبه في كل مرتفع وفي كل منخفض وفي أي مكان من الوطن حتى إن كان "السجن" هذا المكان المناقض في معناه للحرية، فهو رمز للعبودية والاضطهاد النفسي، فهو زلزلة التعذيب والألم، لأن الحرية عندما تشع في النفس تتجاوز كل مكان محدود.

2-3 القبر :

المقبرة مكان لا تشعر فيه بالأمن والراحة لكونه يهيج بداخلنا ذكريات الأهل والأحبة ممن فقدناهم، ولما كان القبر المكان النهائي للإنسان ومهد الميت الأخير والمعبر إلى الحياة الأخرى، فحين يوظف في الشعر فإنه يرمز إلى الضعف والعجز لإنساني² وكثيرا ما يرتبط المكان في الشعر الفلسطيني بقصص الموت الفردي أو الجماعي ، كما كان موضوعا لكثير من النصوص التي تناولت الإشارة إلى ضحايا واقع الحياة الفلسطينية تحت الاحتلال، كما أن قصص الموت لم تكن بعيدة عن حياة المنفى ، وصور توزع قبور الضحايا عبر عالم الشتات ، لم يخل منها ديوان، بالإضافة إلى ذلك اعتبر البعد عن الأرض نوعا من النهاية المأساوية للحياة².

¹ فدوى طوقان:الديوان، ص 428.

² مجناح جمال: المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر، ص434.

إن القبر في شعر فدوى طوقان هو مكان موحش يذكرها بموت الأحبة خاصة بعد فقدتها لأخيها الشاعر الكبير إبراهيم طوقان، فقد كان هذا الحدث نقطة تحول في حياة الشاعرة وفي قصيدتها صديقي الغريب تقول:

لو أن طريقي إليك كأمس

لو أن الأفاعي الهواك ليست

تعرب في كل درب

وتحفر قبرا لأهلي وشعبي

وتزرع موتا ونار"¹

في هذه المقطوعة ترمز الشاعرة للعدو بالأفاعي الهواك، التي تعرب في كل درب، فهذه الزواحف تمتاز بالسرعة والخطورة، فهي لا تقترب من شخص إلا وتهلكه، فهي تزرع الموت في كل مكان، ومن شدة خطورتها تبعث الإنسان إلى القبر، فلا فرق بينها وبين هذا المحتل الذي اغتصب الأرض ونشر الموت، فالقبر بالنسبة لشاعرتنا، مكان مخيف وموحش لأنه ارتبط بفراق الأحبة والأهل.

2- 4 / الحانة:

هي مكان مخصص لبيع وشرب المشروبات الكحولية بكل أنواعها، وهي تنتشر بكثرة خاصة في الدول الغربية وهي قليلة إلى منعدمة الوجود في غالبية الدول العربية والإسلامية بسبب حرمة شرب الخمر عند المسلمين.

وقد ربطت الشاعرة هذا المكان مباشرة بالمحتل الصهيوني لما يحمله من دلالات لا أخلاقية بالنسبة لها فهذا المكان المذنس نجس في نظرها لأنه مكان مخصص لاحتساء الخمر وفي هذا الصدد تقول:

¹ فدوى طوقان : الديوان، ص 373.

كان وحش الغاب يحسو الخمر في

حان الجريمة

ورياح الشؤم تعوي

في الجهات الأربعة"¹

فالحان مكان منبوذ يثير في نفس الشاعرة كل مشاعر الاحتقار والكره للمحتل، فقد شبهته بوحش الغاب، هذا الوحش الخالي من كل معاني الإنسانية، فليس له عقل يوجهه مثله مثل هذا الصهيوني الذي يحسو الخمر في الحان.

2-5 المدرسة :

المدرسة من الأماكن المغلقة ومكان التعليم والتزود بالمعرفة "وبؤرة العلم والمعرفة وبها يرتقي الفهم ويستتير الوعي وتدفع الأفكار الرجعية المتخلفة"² تعتبر المدرسة المكان الذي يلتقي فيه الطلبة كل يوم لطلب العلم لكن الشاعرة استحضرت مشهداً حزيناً للطفلة "منتهى" ارتبط بتردها للمدرسة في يوم من الأيام حيث تقول:

عادت إلى الكتب المدرسية كل سطوح الكفاح التي حذفوها

ورفرف مريولها في صفوف المدارس رفرف وامتد

ظل في الضفة المشرببة .³

في هذا المشهد الحزين وصفت لنا الشاعرة الحادثة الأليمة التي تعرضت لها الطفلة منتهى، هذه الطفلة البريئة التي تتردد على المدرسة للتعلم والتزود بالمعرفة، وفي يوم من الأيام تتعرض للقصف بكل همجية من طرف الصهاينة فيرفرف مريولها في صفوف المدرسة،

¹ فدوى طوقان :الديوان ص 412.

² نصيرة زوزو : بنية الفضاء في روايات الأعرج وسيني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2010، ص125

³ فدوى طوقان : المرجع السابق، ص435.

معلنا نهاية قصة قصيرة لطفلة صغيرة، لخصت كل مشاهد الحزن والأسى التي يتعرض لها الفلسطيني كل يوم.

02/أبعاد المكان :

2-1 البعد النفسي والاجتماعي للمكان:

للمكان أبعادا نفسية تؤثر في الذات البشرية سلبا إيجابا وفقا لما يثيره من مشاعر وأحاسيس، فهو المرآة العاكسة لهذه المشاعر إذ يقترن المكان في البيئة الذهنية للكائن بحزمة من الدلالات الإيجابية والسلبية¹

وقد أهتم الشعراء بالمكان وكان ارتباطهم قويا، فالمكان يتخذ بعدا نفسيا فيكون محور الاهتمام والعناية عند توظيفه في العمل الفني.

فالعلاقة بين الشعر والمكان علاقة عميقة الجذور، متشعبة الأبعاد فهي علاقة فعل ورد فعل فبقدر ما يؤثر المكان في نفسية الشاعر، فإن هذا الأخير يؤسس له شعريا ويسعى للسيطرة عليه لغويا مع تحميله قيما دلالية².

- بما أن الإنسان له ارتباط وثيق بالمكان الذي عاش فيه وتربى فمن الواضح أن يكون متعلقا به وجدانيا، وفكريا مما يخلق لكل شاعر حالة نفسية يعيشها نحو هذا الموضع ، فتجتمع في نفسه وتختلج فيها مجموعة من الأحاسيس والمشاعر اتجاهه وتبقى مكبوتة وكامنة في وجدانه لتقوم بترجمتها في أبيات شعرية ومقطوعات والشاعرة فدوى طوقان يمتلكها إحساس حب المكان إلى درجة العشق الأبدي ، حيث تقول في قصيدتها المشهورة:

كفاني أظل بحضنها

كفاني أموت على أرضها

وأدفن فيها

¹ دلهوني رقية: مقالات في الأدب الكوني المعاصر دار المشرق للطباعة والنشر الكويت 2008 ص15

² أمينة بلهاشمي: المكان في الشعر الجزائري ص112

وتحت ثراها أدوب وأفنى

أبعث عشبا على أرضها

وأبعث زهرة

تعيث بها كف طفل نمته بلادي

كفاني أظل بحضن بلادي

ترايا

وعشبا

وزهرة¹

في هذا المقطع تصل الشاعرة إلى أقصى مشاهد الحب التي يكنها الابن لأمه /الأرض (كفاني أظل بحضنها) فهذا الابن يتمنى أن يبقى في حضنها ميتا بعد أن احتضنته حيا يتمنى أن يبعث عشبا على أرضها أو يبعث زهرة ، لعله يتمكن من رد جزء بسيط من فضائلها عليه. فيبدو أن هذا الطفل لا يمكن أن يلتقي بأمه أو يظل بحضنها إلا عندما يموت ويدفن فيها فالموت بالنسبة له حياة ويبعث مرة أخرى فهناك علاقة حميمية بينهما .

يبدو للشاعرة قصص كثيرة تريد أن تقصها على أطفال الحجارة المحرومين لكنها تخاف أن تروغ طفولتهم البريئة ، لأنها قصص رهيبه حدثت فعلا على أرض الوطن .

وفي ذات السياق تقول:

لا تسألوا متى وكيف تنتهي

حكاية الشتات والضياع

لن تفهموا اليوم الجواب

وحين تكبرون يا أحبتي

¹ فدوى طوقان: الديوان، ص 426.

تتبيكموا الأيام

ويومها ستحملون العبء مثلنا

وتأخذون الدور مثلنا

في قصة الكفاح

طويلة قصتنا طويلة

حكاية الكفاح¹

وفي سياق آخر صورت الشاعرة أطفال الضفة الشرقية في قصيدة رسالة إلى طفلين، على أنهم رمز للأمل والمستقبل حيث بعثت برسالة إلى كرمة وعمر تبين لهما فيها مدى قسوة الاحتلال الصهيوني وتحثهما على الاتحاد ثم تنقلها في جزء آخر من القصيدة إلى زاوية أخرى تصف فيها قسوة الحياة على الأطفال الفلسطينيين، لأن واقعهم المرير يختلف عن العالم الطفولي الذي يتسم باللعب واللهو والقصص...

فهذا الواقع يعكس صفة حياتهم مخاطبة أطفال فلسطين قائلة:

عندي أقاصيص هنا جديدة

أخاف لو أروي لكم أحداثها

أطفئ في عالمكم ضياءه

أخاف أن أروع الطفولة

أهز في جزيرة البراءة

رواسي الأمان والسكينة

أخشى على دنياكم الصغيرة

من قصص السجين والسجان

في أرضنا فإنها رهيبة

¹ فدوى طوقان الديوان ص 383

يشيب يا أحبتي لها الولدان"¹

ومن الواقع الاجتماعي المرير تلخص لنا الشاعرة قصة حمزة الذي نسف العدو بيته
فحمزة يمثل انموذجا حيا للسمود والثبات، لا يخلو من خصوصية الإنسان الطيب الذي
يأكل خبزه بعرق جبينه كجميع البسطاء الطيبين.

تقول الشاعرة:

كان حمزة واحد من بلدي كالأخرين

طيبا يأكل خبزه

بيد الكدح كقوي البسطاء الطيبين

قال لي حين التقينا ذات يوم

وأنا أخبط في تيه الهزيمة

اصمدي لاتضعفي يا ابنة عمي

هذه الأرض التي تحصدها نار الجريمة

والتي تنكمش اليوم بحزن وسكوت

هذه الأرض سيبقى

قلبها المغدور حيا لا يموت"²

إن بيت حمزة لم يكن أول البيوت التي تعرضت للهدم والتدمير ولم يكن آخرها
فالقائمة طويلة وهذا الواقع الاجتماعي المأساوي تتكرر مشاهده كل يوم، فحمزة المثل الذي
يغيب ويحضر يعبر عن هذه الأرض وبالثورة المتواصلة والتي لا تتوقف إلا لتبدأ من جديد.

وفي قصيدة خمس أغنيات للفدائيين تقول:

يا غدنا الفتى خبر الجلال

كيف تكون رعشة الميلاد

¹ فدوى طوقان: الديوان، ص 383

² فدوى طوقان: الديوان، ص 417

خبره كيف يولد الاقح

من ألم الأرض وكيف يبعث الصباح

من وراء الدماء في الجراح"¹

2-2 البعد الوطني السياسي:

للوطن قيمة كبيرة في الوجدان الإنساني، نجد تشكله في في أنساق جمالية قادرة على اختزال التجربة الشعرية وتقديمها في قالب فني، فالارتباط بالوطن والتجذر في أركانه يمنح التجربة الشعرية خصوصية موازية لقيمتها الواقعية، وبخاصة عندما يكون الوطن مفقودا.

والشاعر الفلسطيني عندما أعلن موقفه الثوري في الأرض المحتلة أعلن إلى جانب ذلك تبريره المنطقي والواقعي لذلك الموقف. فقد عاش مأساته وعانها طويلا وعرضها أمام الرأي العام"²

فالشاعر الفلسطيني لا يكتب شعرا فقط بل يقاتل ويتحدى عدوه بشعره، نحس في لغته ونبراته وموسيقاه ظواهر الانفعال والتحدي والصلابة.

" كانت قصيدة الشعراء في الوطن المحتل سلاحا أكثر مضاء أكثر تحديا ومقاومة للعدو الصهيوني وممارسته في اضطهاد الشعراء وقصائدهم وأكثر صلابة تحت ضغوطاته عليهم"³

ومنه فقد تميز أدب فلسطين قبل النكبة بتغيرات وأحداث كان لها ارتباط بالوطن وظهر العديد من الشعراء في هذه المرحلة نادوا بالحرية والاستقلال، أما بعد النكبة فارتبط بطرد

¹ فدوى طوقان: الديوان ص، 421.

² سعدي أبو شاور: الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط 1 2003 دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ص 269

³ المرجع نفسه، ص 269.

الفلسطينيين من أرضهم وتهجيرهم إلى الأقطار العربية ليعيشوا لاجئين على أمل العودة إلى ديارهم

ولا يلبث الوطن في الشعر فدوى طوقان أن ينتفض من جديد ويبعث في صور متعددة " في الأسابيع الأولى التي تلت أيام الحرب كانت الصحف والإذاعات الأجنبية المعادية تتحدث بتشف وشماتة عن حرب حزيران وكأنها نهاية الأمة العربية، كانت منوطة بتلك النكسة، من هنا كانت قصيدة "الطوفان والشجرة" تقول الشاعرة:

يوم الإعصار الشيطاني طغى وامتد

يوم الطوفان الأسود

لفته سواحل همجية

للأرض الطيبة الخضراء

هتفوا ومضت عبر الأجواء الغربية

تتهادى بالبشرى الأنباء

هوت الشجرة !

والجذع الطود تحطم لم تبق

الأنواء"¹

لقد عبرت الشاعرة بالطوفان لقوى الغزو الصهيوني المدعوم بأمريكا وأوروبا إثر العدوان الغادر على الأرض الطيبة عام 1967، لما يتسم به من التدمير والحرب، وطمس معالم الأشياء.

كما عبرت الشاعرة عن الأمة العربية بالشجرة فهي عنوان الخير المعطاء بثمارها أو بظلالها. ومن خلال الصراع المحتدم بين الطوفان وتوابعه كالإعصار الذي يتخذ طابعا

¹ فدوى طوقان: الديوان ص 375.

شيطانيا مخيفا لا يفرق بين الأشياء بضرباته الهوجاء هنا وهناك، والفرق واضح بين الطوفان والشجرة والصراع الغير متوازن بينهما، ويظل الأمل يكبر من قلب اليأس والحرب إلى أن تقوم الشجرة التي تضرب بجذورها في أعماق الأرض الطيبة.

وفي ذات السياق نقول:

ستقوم الشجرة

ستقوم الشجرة والأغصان

ستتمو في الشمس وتخضر

وستورق ضحكات الشجرة

في وجه الشمس

وسيأتي الطير

لابد وسيأتي الطير¹

هذه الشجرة سيعود إليها الطير مرة أخرى بين أعشاشه ويملاً الدنيا غناء وزقزقة، وطيوورها هم أبناءها الحقيقيون الذين يندفعون للدفاع عن أرضهم من بين ركام المنازل المدمرة، الذين ينطلقون من كل زاوية من زوايا الوطن للدفاع عن أرض الآباء والأجداد مهما كانت حملات البغي والعدوان.

تقول الشاعرة:

يعجزني يا كرمتي العبور

فالنهر يقطع الطريق بيننا

وهم هنا يرابطون كلغة سوداء²

¹ فدوى طوقان: الديوان ص 376

² المرجع نفسه، ص 379

ومع الاحتلال بدأت دائرة الحصار تحيط بالوطن وانهارت جسور نهر الأردن تحت وطأت الانكسار والهزيمة، واضطر الغائبون عن الوطن إلى العودة تحت جناح الظلام، حيث تداهمهم أحيانا كمائن الموت.

وتحولت قضية الوصول إلى الوطن إلى ملحمة جنائزية تتكرر بعد كل غروب في عتمة الليل، فهؤلاء الصهاينة مثل اللعنة السوداء التي حلت بالوطن، فهم يتواجدون في كل مكان وفي قصيدتها "حي أبدا" تقول:

يا وطني الحبيب لا مهما تدر
عليك في متاهة الظلم
طاحونة العذاب والألم
لن يستطيعوا يا حبيبنا
أن يفقأوا عينيك ، لن
ليقتلوا الأحلام والألم

وليصلبوا حرية البناء والعمل ليسرقوا الضحكات من أطفالنا

ليهدموا ليحرقوا ، فمن شقائنا

من حزننا الكبير ، من لزوجاة

الدماء في جدراننا

من اختلاج الموت والحياة

ستبعث الحياة فيك من جديد

يا جرحنا العميق أنت يا عذابنا

يا حبنا الوحيد¹

¹ فدوى طوقان :الديوان ، ص 377.

في هذه القصيدة توجه الشاعرة خطاباً إلى وطنها الحبيب الذي يعاني العذاب والألم وتؤكد له أن هذا المحتل لن يتمكن منه مهما فعل ومهما طال بقاءه. لأن وجوده في هذه الأرض الطيبة غير شرعي وحتماً ستبعث فيه الحياة من جديد وتشرق فيه شمس الحرية.

2-3/ البعد التاريخي والديني:

أن العودة للتاريخ هي عودة للذات وتعويض عما ذهب وفقد ولأن الشاعر يدرك أنه من المستحيل عودة الماضي وتشكل التاريخ كما كان في وقت سابق، فهو يسافر في الماضي عبر المكان والشعر ليستقل بنفسه عن السياق التاريخي الذي ينشأ فيه لينفتح على الواقع في زمانه وسائر الأزمان.

"وقد استخدم الشعراء تقنيات جديدة على المستوى اللغوي والأدائي والكتابي "الخطي" واستثمارها في إنتاج النص وطبعه وتلقيه وتنويع الأنماط المكانية أو التركيز على عنصر مكاني معين لظروف الحياة الجديدة" وكل ذلك من أجل كتابة متميزة تستفيد من الماضي ومن الحاضر، لتؤسس لكتابة مغايرة للسائد والمتعارف عليه ولتأخذ مشروعيتها من تاريخ المتن الشعري العربي القديم والحديث. والقارئ يدرك بحسه القرائي والنقدي هذا الارتباط المتشكل بين الشاعر والتاريخ والتدين.

فالقدس مثلاً تشكل خلفية مهمة لدى الشعراء الفلسطينيين لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية، والشاعر عندما يوظف القدس كمركز شعري مرتبط برموز الأمة والتاريخ الإسلامي، ذلك ليبقى القارئ مرتبطاً بتاريخه المجيد وهذا ما لمسناه في شعر فدوى طوقان التي لم تتأخر في توظيف هذا الرمز التاريخي فهي الفردوس المفقود والتاريخ الثري بالأحداث العظام، قريبة منها لكنها بعيدة التحقيق.

¹. علي متعب جاسم مجلة ديالي : العدد 2009.40

تقول الشاعرة:

الأسى يهطل ليل القدس صمت

وقتام

حظروا التجوال، لاتطرق في

قلب المدينة.

غير دقائق النعال الدموية

تحتها تنكمش القدس كعذراء سببية

وعلى السياحة طائر

خرق السهم جبينه

و على الأرض دخان و نار¹

تواصل المبدعة فدوى طوقان وصف الواقع المرير الذي تعيشه القدس، فالأسى يهطل مثل المطر، والقدس يخيم عليها صمت رهيب لا تسمع في الشوارع غير دقائق نعالهم القذرة فالشاعرة ترى القدس كأنها عذراء سببية في أيدي الصهاينة تنتظر من يحررها من أسرها فكل من يقترب منها يخترق السهم جبينه.

وتواصل الشاعرة:

كانت القدس هواه حبه الصوفي كانت

ويقينه²

فهذا الطائر الذي كان يحوم حول ساحة القدس، كان متيقنا من حبه العظيم لها، والحب في قاموس الصوفي، هو من أنبل العواطف الإنسانية، وأجملها وأعمقها أثرا، فالحب منطلق كل خير وهو الملهم للإنسان، وهو الذي يعطي للإنسان معنى إنسانيته.

¹ فدوى طوقان : الديوان ،ص413

² نفسه ،ص414.

ملاحم المكان في شعر فدوى طوقان:

01/المكان/الظل:

يحمل الظل سمة حركية داخل الذات الإنسانية، فهو علاقة زمكانية بين الوجود والعدم وبين الحضور والغياب وبين السعادة والشقاء وبين الحياة والموت، ومرحلة انتقالية بين التذكر والنسيان¹.

فالشاعر الحاضر أمام الظل يتذكر الماضي، فيغدوا الماضي حاضرا فيتوالى الحضور والغياب والأطلال تحمل في طياتها رمزا كبيرا يشير إلى تدهم الإنسان وبنائها نموذج مكتمل لوجود الإنسان وبقائه، والظل حالة تذكر يعيشها الشاعر فالمكان هنا يصبح معزولا عن شرطه الإنساني.

جاءت فدوى طوقان، وقد استثمرت طللية امرئ القيس في الوقوف على أبواب يافا، وأخذت تبكي هذه المدينة، وتتذكر وطنها الذي سكنه الغرباء، فلم تجد إلا الوقوف على الأطلال مستحضرة المقدمة الطللية وما في ذلك من دلالات البكاء والحرقة و اللهفة: حيث تقول:

على أبواب يافا يا أحبائي

وفي فوضى حطام الدور

بين الردم والشوك

وقفت وقلت للعينين: يا عينين

قفا نيك.

على أطلال من رحلوا وفاتوها

تنادي من بناها الدار

وأن القلب منسحقا

¹ د حبيب مونسي : فلسفة المكان في الشعر العربي دراسة موضوعاتية جمالية، دمشق، 2001، ص 17

وقال القلب ما فعلت؟

بك الأيام يادار

وأين القاطنون هنا

وهل جاءتك بعد النأي هل

جاءتك أخبار

هنا كانوا

هنا حلموا

هنا رسموا

مشاريع الغد الآتي

فأين الحلم والآتي وأين همو؟

ولم ينطق حطام الدار.

ولم ينطق هناك سوى غيابهمو¹.

فما إن تشدو الشاعرة "قفا نبك" حتى نسمع صدى الصوت القادم من أعماق الماضي الغابر، فتتجلى لنا صورة امرئ القيس وقد وقف على أطلال المحبوبة بعد أن فارقت المكان حيث وقفت الشاعرة على أطلال تلك المدينة تمتلكها الحيرة وعدم التصديق، وفي خطاب مع الذات تقول لعينيها الحائرتين "قفا نبك" لتتذكر الأطلال وتبكي على من تركوا هذه الأطلال المحطمة ورحلوا عنها بعيدا.

لقد كانوا في يوم من الأيام هنا يسكنون ويحلمون ويرسمون، وها هو القلب يشاطر العينين في حيرته ويسأل ما الذي حل بك أيتها الدار؟ وماذا فعلت بك الأيام لتصبحي بهذا المنظر البائس، وفي الأخير اكتفت الشاعرة بالصمت لما تعيشه من فوضى الغياب.

¹-فدوى طوقان: الديوان ، ص394.

لقد أرادت الشاعرة من خلال هذا الربط، بيان العلاقة بين المكان الذي وقفت عليه وأثره على نفسها، فرغم الصور المتعددة والملينة بالذكريات التي استوطنت مخيلتها إلا أن الحضور قد منع تواصلها، وحالتها النفسية المهزومة، أزلت هذه الصور وجعلت تكرارها يعد ضرباً من الخيال.

02/المكان وخلفياته التراثية:

إن استدعاء الشخصية التراثية المحملة ببعدها التاريخي يوضح لنا الصورة المراد رسمها في الشعر وربطها بالمكان، الذي له أهمية كبيرة عند الشاعر الفلسطيني. "هناك مجموعة من العوامل الثقافية والفنية والاجتماعية وراء شيوع ظاهرة استدعاء الشخصية التراثية في شعرنا العربي كصورة من صور الارتباط بالموروث¹".

"فإحساس الشاعر المعاصر بمدى غنى التراث وثرائه بالإمكانات الفنية والمعطيات والنماذج التي تستطيع ان تتمح القصيدة المعاصرة طاقات تعبيرية لا حدود لها، ولقد ادرك الشاعر المعاصر أنه باستغلاله هذه الإمكانيات يكون قد وصل تجربته، بمعين لا ينصب من القدرة على الإيحاء والتأثير²".

فحين تقف شاعرة عربية فلسطينية كفدوى طوقان أمام شباك التصاريح الإسرائيلي في الضفة الغربية المحتلة تطلب من أعدائها تصريحا بالعبور إلى الضفة الأخرى، وترى بعينها تلك المعاملة اللانسانية التي يلقاها العرب، يمزقها إحساس عميق بالمهانة والذلة تدفعها لاستنهاض عزيمة قومها واستثارة نخوتهم العربية ليثأروا لكرامتها ويرجعوا لها وطنها السليب.

وفي هذا السياق تقول فدوى في قصيدتها: آهات أمام شباك التصاريح

ويدوي صوت جندي هجين

لظمة تهوى على وجه الزحام

¹- على عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997، ص15.

²- على عشري زايد المرجع السابق ص16.

عرب، فوضى، كلاب

ارجعوا لا تقربوا الحاجز عودوا يا كلاب.

ويد تصفق شباك التصاريح

ونفس الدرب في وجه الزحام

آه إنسانيتي تنزف قلبي

يقطر المر دمي، سم ونار

عرب، فوضى، كلاب.... !

آه وامعتصماه !

آه يا ثار العشيرة¹.

تتألم الشاعرة وتطلق الآهات على هذه الحالة المزرية التي غرقت فيها أمام شباك التصاريح، فيقطع حبل الانتظار صوت جندي صهيوني هجين جاء من بلد بعيد، ومع سيل الشتائم يغلق شباك التصاريح بقوة صارخا في وجه المواطنين بالابتعاد عن المكان، وفيه هذه اللحظات تؤثر نفس الشاعرة لكرامتها المهذورة وتغلي الدماء في عروقها وتشعر بالغصة في حلقها، من هؤلاء الذين جاؤوا وراء فكرة مضللة من بلدان مختلفة وأجناس مختلفة ليزاحموا صاحب الدار على داره.

ومن هنا تستدعي الشاعرة فدوى طوقان شخصية المعتصم العباسي لتبرز لنا دوره في تحرير أرضه من براثن الرومان، حيث تعود الشاعرة بذاكرتها إلى عصور تجلت فيها النخوة والرجولة، فنستدعي من الموروث العربي حادثة هذه المرأة التي لطمها الرومي على وجهها فما كان منها إلا أن صرخت في وجهه "وامعتصماه" لتصل الصرخة لمسامع المعتصم، فهب لنصرتها، فحررها من الروم ودمر جيوشهم ولكن آلاف من النساء الفلسطينيات صرخن - وامعتصماه- آلاف المرات، ولم يلب نداءهن زعيم عربي.

¹- فدوى طوقان: الديوان، ص408..

وفي قصيدتها إلى السيد المسيح في عيده تقول:

قتل الكرامون الوارث ياسيد -

واغتصبوا الكرم

وخطا العالم ريش فيهم طير -

الإثم

وانطلق يدنس ظهر القدس

شيطاننا ملعونا، يمقته حتى الشيطان

يا سيد يا مجد القدس

من بئر الأحزان من الهوه من قاع الليل

من قلب الويل

يرتفع إليك أنين القدس

رحماك أجز يا سيد عنها هذه الكاس¹

توجه الشاعرة في هذا المقطع خطابا للسيد المسيح عليه السلام وتذكرنا بالمؤامرة التي تعرض لها وكأنها تشير إلى أولئك الصهاينة، الذين عملوا على صلبه وكيف يحاولون اليوم أن يعدوا جريمتهم مرة أخرى باحتلال القدس وصلبها واغتصابها فهي تربط بين معاناة السيد المسيح، ومعاناة القدس / المكان فالظالم في الحالتين هم بنو إسرائيل "فأولئك الكرامين قالوا فيما بينهم هذا هو الوارث، هلموا ، فيكون لنا الميراث فأخذوه فقتلوه وأخرجوه من الكرم".²

¹ فدوى طوقان: الديوان، ص386.

² - أحمد مداس: النص المصاحب وصناعة التوقع، قراءة في شعر فدوى طوقان، مجلة المخبر، العدد الأول، 2009، ص147.

فهذه القدس الطاهرة تعذب بأيديهم فتبكي الشاعرة في قاع الليل وتدعو في أنين رحماك يا سيد أجز عنها هذه الكاس في توحد تام مع السيد المسيح، فهذا المسيح الذي عذب ليفدي البشرية لا بد أن يفدي القدس لأنها مظلومة مثله. والشاعرة عندما تستدعي الشخصيات التراثية تتحول هذه الأخيرة إلى وحده حية تجمع بين الماضي والحاضر وبين الزمان والمكان.

04/المكان وعلاقته باللغة الشعرية:

لاشك أن لكل شاعر من الشعراء معجمه الشعري الخاص به ولكل شاعر نظرتة الخاصة لهذه الألفاظ والكلمات فهو يخلق بينها مجموعة من العلاقات التركيبية والدلالية التي من شأنها أن تحقق له المكنون الداخلي لذاته الشعرية، وتتسج له جزءا كبيرا من لغته الشعرية التي لا بد أن يتميز بها عن غيره، وإلا كان شعره ترددا لما يقوله الآخرون وليس له كيان مميز ضمن كيانات الشعراء المبدعين.

إذن فلغة الشعر كما نتصورها، وكما يجب أن يستخدمها الشاعر، "هي كل مكونات النص الشعري من ألفاظ وصور وخيال وعاطفة، ومن موسيقى ومن مواقف بشرية، تشكل ما تسميه بالمضمون البشري وتتجمع لكل هذه المكونات في منظور الشاعر لتكون القصيدة الشعرية"¹ فاللغة كنز الشاعر وثروته التي تعطيه القدرة على التفاعل مع ذاته، ولذلك يمكننا القول أنها «ذلك الوعاء الذي يحمل مشاعر وأحاسيسه فهي تتابع، تلاحم وانصهار اللفظ مع المعنى، مكونا نسيجاً جديداً أو مولوداً جديداً نسميه النص»².

فاللغة تزخر بالطاقات الهائلة التي يمكن استغلالها في بناء المكان عند الشاعر والكشف عن جمالياته وتجليه جوانبه ومنه نرى أن الشاعر يريد أن يوحد بين اللغة وصدق

¹- ينظر السعيد الورقي : لغة الشعر العربي الحديث هو مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية دار المعرفة الجامعية، بيروت، لبنان، ط3، 1987ص67.

²- هشام عطية القواسمة : الرؤيا والتشكيل، دراسة في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير جامعة مؤتة، عمان، الأردن، 2009، ص122.

الإحساس وهو شرط العمل الناجح، ولأن الشكل الشعري يتضمن المسائل اللغوية فإن ذلك لا يعني أن يكون الشكل هو الصورة الخارجية أو الفن الخالص المجرد عن المضمون.

ويرتبط اصطلاح المعجم الشعري عند الشاعرة فدوى طوقان من خلال تناولها المكان بصورة مباشرة في عملية اختيار الألفاظ وترتيبها، حيث أن اختيار الألفاظ يصل في الأهمية إلى أهمية الموضوع، إذ أن رؤية الشاعرة لهذا الموضوع تفرض نوعية خاصة في المعجم الشعري، ويمكن أن تضيف إلى ذلك طبيعة البيئة المرجعية الجغرافية التي تنتمي إليها الشاعرة، وهذه العوامل والظروف تسهم في تشكيل معالم المعجم الشعري للشاعرة التي تعيش في آفاق التجربة الشعرية، ولعل من أولى سمات هذا المعجم البشري بروز اللون المحلي وذلك من خلال التأثير بالبيئة الجغرافية والسياسية للمكان.

والمكان في الشعر يتشكل عن طريق اللغة التي تملك بدورها طبيعة مزدوجة إذ للغة بعد فيزيقي يربط بين الألفاظ وأصولها الحسية كما أن لكل لغة نظاما من العلاقات التي تعتمد على التجريد النصي، لكن المكان الشعري لا يعتمد على اللغة وحدها، وإنما يحكمه الخيال الذي يشكل المكان بواسطة اللغة على نحو يتجاوز قشرة الواقع، غير أنه يظل على الرغم من ذلك واقعا محتملا، إذ أن جزئياته تكون حقيقية ولكن ندخل في سياق حلم يتخذ أشكالا لا حصر لها، يصل إليها الخيال اللغوي.

إن صلة المكان الفني القائم في النص باللغة، هي صلة ترجمة إلى أنساق مكونة من رموز وإشارات تنهض على غرار أنساق أخرى ثم التواضع بخصوصها من مجموعة أفراد المجتمع¹.

وإذا تأملنا شعر فدوى طوقان وجدنا أن اختيارها للألفاظ له دلالات موحية تخدم المضمون وتمكن الشاعرة من إخراج مكبوتاتها .

¹ -نور الدين صدوق: البداية في النص الروائي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1994، ص48.

فالشاعرة استخدمت معجماً لغوياً يتناسب مع ذاتها كما أنها سعت جاهدة لتصوير الواقع كما هو فنياً وجمالياً من خلال ألفاظها المعبرة ولدراسة المعجم الشعري لدى الشاعرة لا بد من الوقوف عند بعض الحقول الدلالية المرتبطة بالمكان والتي برزت في ديوان الشاعرة.

أ- الحقول الدلالية المتعلقة بالمكان:

العقل الدلالي عبارة عن قطاع كامل من المادة يعبر عن مجال الخبرة اللغوية "اذ هو يتكون من قطاع لغوي متكامل مترابط، ولا بد من ارتباط هذا الحقل الدلالي بمجموعة من العلاقات الناظمة له كعلاقة الجزء بالكل والسبب بالمسبب والضد بالضد ... وغير ذلك من العلاقات التي تنظم عملية الحقل الدلالي¹.

وعموماً فإن نظرية الحقول الدلالية تهدف إلى جمع مجموعة الكلمات التي تتربط مع بعضها البعض ضمن الحقل الدلالي الواحد والكشف عن مجموعة العلاقات التي تصل كل منها بالأخرى، وصله كل كلمة بالمفهوم العام للحقل ومن ثم فإن فهم أي مفردة معجمية يقوم على فهم علاقتها بالحقل الدلالي، الذي تتصوى تحته ومعرفة علاقتها بالعناصر المعجمية التي ترتبط معها تلك الوحدة المعجمية ذاتها².

1 / حقل الوطن:

لطالما تغنى الشعراء بأوطانهم ولطالما تحدث أهل الفصاحة والبلاغة عن محبتهم لأوطانهم وذلك منذ بدايات الشعر العربي فليس غريباً على شاعرة مثل فدوى طوقان التي عانت كثيراً من فراق وطنها أن تجعل لوطنها مساحة كبيرة في شعرها وخاصة في ديوان الليل والفرسان المعني بالدراسة.

حيث تقول:

¹- عمر أحمد مختار، علم الدلالة، دار عالم الكتب، القاهرة، مصر ط5 1998، ص79.

²- عمر أحمد مختار، المرجع السابق، ص80.

ها أنا يا أحبائي
الى يدكم أمد يدي
وعند رؤوسكم القى هنا رأسي
وارفع جبهتي معكم إلى الشمس
وما أنتم كصخر جبالنا قوة
كرمز بلادنا الحلوة¹.

هناك مجموعة من العناصر المعجمية التي لا شك أحد في أنها ذات ارتباط وثيق بحقل الوطن (الشمس،الصخر،الجبال ،زهر، بلادنا) فكل هذه المفردات هي مكون من مكونات الوطن وعلاقته كل منها بالوطن هي علاقة الجزء بالكل، فالجبال مثلا هي جزء من هذا الوطن..

وتقول في سياق آخر:

تتقمص شخصيات كفاح أسطورية
عنترة العبد الباحث عن حريره في درب الموت
عز الدين الأقسام الرابض في الأحراش عبد القادر في القسطل
يحيا ويمارس عشق الأرض²

لم تنس الشاعرة أن تواكب الأحداث التي تجري في الوطن فتجعل من بعض الأشخاص رموزا للوطنية أمثال عز الدين القسام فهذه الأسباب تشتمل على بعض العناصر المعجمية التي ترتبط بالحقل الدلالي الوطني،(عز الدين القسام، الأحراش الجبلية، الأرض، الموت..)

¹ - فدوى طوقان: الديوان ص 396.

² فدوى طوقان: الديوان، ص437.

فهذه الشخصية بالنسبة للشاعرة هي شخصية مناضلة من أجل الوطن تحددت المشروع الصهيوني وحملت على عاتقها مسؤولية تحرير فلسطين.

2/ حقل الطبيعة:

بتأثير من النشأة التي نشأتها الشاعرة بجبال نابلس وارتباطها الشديد بالطبيعة، فقد استفادت الشاعرة من هذه العناصر الطبيعية ووظفتها كثيرا في شعرها ونحن في بحثنا هذا فقط نذكر بعض الأمثلة لأن الديوان يزخر بالمكونات الطبيعية.

تقول الشاعرة:

والحبق البري والشمر

هدية الربيع في بلادنا لنا

هدية المطر.

اشتملت هذه الأبيات الشعرية على مجموعة من العناصر المعجمية ذات العلاقة الوثيقة بحقل الطبيعة المرتبط بالمكان (الأرض) وهي (الحبق البري، الشمر، الربيع، المطر..). فهذه العناصر هي من مكونات الطبيعة: المرتبطة بالمكان فأصبحت هذه العناصر في مدلولها رموزا حية للوطن فالشاعرة عندما تذكرت عمر تذكرته من خلال هذه الأزهار التي أهداها إياها والتي أحضرها من الجبل ، فهي عندما تتذكر باقة الأزهار فحتما ستتذكر الوطن.

3) حقل المرأة:

للمرأة حضور دائم في القصائد العربية، فلقد وجدت لها صورا مبتكرة في العصر الحديث، فلم تعد الحبيبة فقط، بل تحولت إلى رمزيات مكثفة ضمن أطر سياسية أو اجتماعية ذات علاقة بالواقع الذي تعيشه أما المرأة في شعر فدوى طوقان فلها رمزية خاصة فهي تبدو في ثوب الأم المضحية بفلذة كبدها من أجل تحرير الأرض:

حيث تقول:

ماض أنا أماه

ماض مع الرفاق

لموعدي .

راض عن المصير

وكل ما لدي النبض والحب والإيثار والعبادة

أبذلها لأجل الأرض

مهرا فما أعز منك يا أماه إلا الأرض¹.

وتجعل الشاعرة المرأة جزء من الوطن الذي تعيش فيه فهي الأم المضحية بأبنائها من أجل الوطن ومن العناصر المعجمية التي وردت في هذا المقطع (أماه، مهرا ...) فمثلا المهر هو عنصر معجمي يتوازى مع المرأة ومتعلق بها، فهذا الفتى الشجاع الذي يريد أن يضحي بنفسه من أجل الأرض لم يجد أعز من أمه إلا الأرض.

ب- المعجم الشعري ودوره في بلاغة المكان:

إن اللغة الشعرية من أكثر العوامل التي ساعدت الشاعرة فدوى طوقان بشكل كبير في تشكيل المكان، فالتنوع في طبيعة البيئة والمرجعية الجغرافية، التي تنتمي إليها الشاعرة ساهمت في تشكل معجمها الشعري، ومنه تنوعت الرؤى التي تسعى الشاعرة لإيصالها بين الرؤية السياسية والدينية والاجتماعية، وهي رؤى تسعى إلى ترسيخها في شعرها، وقد استعملت الشاعرة "اللغة الفصحى" في كتابة قصائدها والملاحظ في سمات هذا المعجم الشعري، بروز اللون المحلي وذلك من خلال التأثير بالبيئة الجغرافية والسياسية "للمكان".

يقول ابن رشيق القيرواني: «للشعراء ألفاظ معروفة وأمثلة مألوفة لا ينبغي للشاعر أن يعدوها وألا يستعمل غيرها»² لان اللغة الشعرية ترتبط بثقافة الشاعر ومرجعياته الفكرية وبكافة العوامل الذاتية والموضوعية التي توصل تجربة الشعرية وقد جاءت قصائد الشاعرة

¹-فدوى طوقان: الديوان، ص390.

²-ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الكتب العلمية، بيروت ط2001، ج1، ص135.

كلها مبنية على شعر التفعيلة كما هو واضح في الدراسة وكل الألفاظ جاءت سهلة وبسيطة لأنها تتصل بشكل عميق بالوضع الفلسطيني.

الاستقامة

خاتمة :

رحلة العطاء الشعري عند فدوى طوقان طويلة ومتميزة نهلنا، من ينابيعها الشئ القليل وقطفنا باقات أزهار متنوعة من حدائق دواوينها، يفيض شذاها بعبق الكفاح وعطر الوطن.

لقد اتكأت الشاعرة على التاريخ على الماضي المجيد وتعلقت بهذا التراث التليد ووظفته لاستنهاض الهمم على درب الثورة والمقاومة والتحدي للغازي الدخيل من اجل استرداد هذا الوطن ، واستعانت بالدين الحنيف نبراسا وهاديا في أوقات الشدة والظلام بل وظلت تنهل من القلب وتخاطب الوجدان والذاكرة واندمجت وذابت في الوطن قضية وشعبا وكفاحا غنت الوطنية الصادقة والإنسانية النبيلة فهيات لنفسها مكانة مرموقة في الشعر.

كما أن الفرصة التي أتاحت لنا للبحث في مجال المكان في شعر فدوى طوقان وبعد تعمقنا في أشعارها وقصائدها، وجدنا أن لها تأملات روحية وحسية متنوعة، دلت على تتبعها وتعمقها لسلبيات الحياة مع تيارات الفكر الحديث، وانطلقت بشعرها في قضايا الشعر المعاصر.

كما استنتجنا أن الشاعرة قد استطاعت إلى حد كبير أن تنقل لنا صورة واقعية عن المكان الفلسطيني، كيف لا وهي التي تعيش الواقع المأساوي المؤلم مع أبناء شعبها، وعبر ذلك نكون قد توصلنا إلى مجموعة من النتائج نلخصها فيمايلي :

- اتفق الدارسون على أن المكان مشتق من الكينونة والوجود الإنساني. ومدى ارتباط الإنسان بالمكان وتعميق شعور الانتماء له.
- المكان عند فدوى طوقان أصبح مسرحا للأحداث السياسية والاجتماعية.
- تأثرت الشاعرة بالمكان الفلسطيني بصفة خاصة والمكان العربي بصفة عامة.
- تعددت مستويات المكان وأبعاده عند فدوى طوقان.

- الأشعار ذات الأبعاد السياسية تميل إلى المفردات ذات النبرة القوية والتاريخية تميل مفرداتها إلى الفخر والاعتزاز.
- تشكل الذكريات عالما مفتوحا لدى الشاعرة.
- ينتقل الانغلاق من المادي إلى المعنوي في شعرها، أي من المكان المعيش إلى العالم النفسي.
- ارتبطت دلالات بعض الأمكنة بحالات التخيل عند الشاعرة والمتلقي معا .
- المعجم الشعري عند الشاعرة خصب وغزير الدلالة النفسية .
- استخدام المكان للتعبير عن الحالات النفسية المختلفة .
- تتميز أشعار فدوى طوقان بشفافية التعبير وإيحائية الصورة وانسيابية الألفاظ بحركة تنبض بواقع محزن أليم.
- وفي الأخير نتمنى أن نكون قد وفقنا في دراسة المكان في شعر فدوى طوقان ولو بالقسط القليل، ونحن لا ندعي الإحاطة بكل شيء، ويستحضرنا قول الشاعر :
- قل لمن يدعي في العلم فلسفة * حفظت شيئا وغابت عنك أشياء.

الملاحق

فدوى طوقان وشعرها:

خرجت فدوى طوقان إلى هذه الدنيا إلى عالم يموت وآخر على أبواب الولادة " فقد كانت الدولة العثمانية تلفظ أنفاسها الأخيرة وجيوش الحلفاء تشن طريقها غربي المنطقة كلها، وحين أطلقت صرختها الأولى، كان وعد بلفور يعطي تصريحه المشؤوم لتهديد وطنها فلسطين، في ظل هذه الظروف ولدت الشاعرة في مدينة نابلس بفلسطين أواخر الحرب العالمية الأولى وتعلمت بمدارسها"¹

عاشت فدوى طوقان ضمن تقاليد خاصة بأسرتها، كانت نفسها تتوق إلى الحرية لتمارس حقها الطبيعي في الحب والحياة.

انصرفت فدوى طوقان إلى الشعر لتعبر عن طريقه عن كل خلجات نفسها الحزينة فكتبت عن الأمها وأحلامها وعن حبها الكبير، عن نفسها الضامئ للحرية فاكتفت بالشعر لتعبر عن مشاعرها الحقيقية الطبيعية >> فقد انقسمت شخصيتها الطبيعية إلى شخصين:

1- شخصية حقيقية عبرت عنها وعن أمها وعن أحلامها في شعرها، هذه الشخصية في مصطلح علم النفس هي الأنا.

2- شخصية كانت رقيقا على الشخصية الأخرى، ومصدرا للضغط عليها، وهذه الشخصية هي الأنا الأعلى.

فقد استسلمت فدوى في حياتها الاجتماعية وسلوكها في الشخصية الثانية، بينما استسلمت في شعرها للشخصية الأولى"²

¹ كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860-1960، دار المعارف 1119 ، كورنيش النيل القاهرة، ج، م ، ع ص168

² غريد الشيخ : فدوى طوقان شعر والتزام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، - لبنان- ، ص07.

" التحقت فدوى بمقاعد الدراسة في السابعة من عمرها، تعلمت الحروف الهجائية رويدا رويدا بدأت تتعلم القراءة والكتابة، كما أقبلت على الدراسة بشغف ومحبة ولقيت من معلمتها التجاوب والحب وأشبعت المدرسة الكثير من حاجاتها النفسية التي افتقدتها في بيت الأسرة"¹

لم تكمل فدوى طوقان المرحلة الابتدائية من تعليمها، حيث ضربتها يد القمع الأسري وحرمتها من مواصلة الدراسة لتبقى سجيناً، ومع اشتداد ليل الظلمة بزغ الفجر وأضاء حياتها حينما عاد شقيقها إبراهيم من بيروت يحمل شهادته الجامعية من الجامعة الأمريكية وينتشلها من بئر الحرمان، مع أن المثبطات كانت تتعقب خطواتها فقد كانت تحس بقوة نفسية وروحية تدفعها دائماً إلى الأمام وكان إبراهيم مصدر هذه القوة، فأخذ يصطحبها إلى أطراف المدينة، فكان إبراهيم بذلك بمثابة الحب والحنان لها"²

" فأغدق على شقيقته لينقذها من نزلات اليأس وسلبيات الحياة، واستمع إليها ودرس نفسياتها وعرف ميلها للشعر وهو الشاعر الحساس"³ أخذت فدوى تنهل من دواوين الشعراء الجاهليين والأمويين والعباسيين وغيرهم، كما قامت بدراسة النحو والصرف والعروض، بدأت الكتابة في سن مبكرة في الثالثة عشر من عمرها، نشرت لها المجلات الأدبية والصحف العربية في نابلس والقاهرة والأردن قبل الحرب العالمية الثانية بأسماء مستعارة مرة "دنانير" ومرة "المطوقة"

كان إبراهيم طوقان الأب الروحي لفدوى وهو الأخ الأكبر لها، أخذ بيدها لتكتب الشعر وتعبر عن حريتها، ها هي تتحدث في قصيدتها "تاريخ كلمة" عن إبراهيم الذي تعتبره المثل الأعلى للسلوك الرجولي:

¹ المرجع نفسه، ص 07.

² كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860-1960، ص 168

³ المرجع نفسه ص 168.

وعاد إبراهيم من غربته أخي الكبير عاد

إبراهيم كان قلبه الرخيم خير كبير

وفي حبه غزير

ولفني أخي وضمني إلى جانبه

هنا استقيت الحب وارتويت

هنا استردت ذاتي التي تحطمت

بأيدي الآخرين¹

توفي إبراهيم فكانت وفاته ضربة أهوى بها القدر على قلبها، تأثرت فدوى بالتيار الرومانسي، خاصة في ديوانها وحدي مع الأيام، لكن نكبة 1948 كان لها الدور الفعال في تغيير مسار الشعراء الفلسطينيين، فلا شك أن الإحساس العميق بالظلم يولد نزعات شتى في نفس المرء وبذلك تغير مسار الشاعرة الشعري من الرومانسي ال القومي وتجلي ذلك خاصة في ديوان الليل والفرسان الذي نحن بصدد دراسته.

أثارها الشعرية:

لقد ظلت فدوى طوقان صامدة على تراب الوطن العربي تشد بشعرها وتسجل كفاح الشعب الفلسطيني ونظالاته اليومية ضد العدو الصهيوني، حيث فرضت عليها الإقامة الجبرية، لأن شعرها ارتبط ارتباطا وثيقا بقضية الشعب الفلسطيني، فكان للكلمة فعل الرصاصة في مثل ظروف هذا الشعب القاهرة، الموقف السياسي والتعبئة الفكرية، وقضية الانتماء وتحديد الهوية وبالتالي تصير الكلمة عند الشاعرة قصيدة مسلحة.

¹ فدوى طوقان: الديوان ص454

فالشعر يمتلك قوة مؤثرة معنوية ومادية في نفوس الجماهير، ومن هنا منع العدو الصهيوني نشر أشعارها، وصادر دواوينها الشعريه وشن عليها حملات صحفية حاقدة، وكان ما خلقت فدوى سبعة دواوين هي كالتالي:

- (1) - وحدي مع الأيام: القاهرة 1952
- (2) - وجدها: بيروت 1957
- (3) - أعطنا حبا: بيروت 1960
- (4) - الليل والفرسان: 1969
- (5) - أمام الباب المغلق: بيروت 1970
- (6) على قمة الدنيا وحيدا: بيروت 1970

فقد طبعت هذه الدواوين الستة في (طبعة واحدة) بيروت 1978م، على غرار الديوان السابع، تموز والشيء الآخر فلم يتم طبعه مع الدواوين الستة الأولى
آثارها النثرية:

وكان من آثارها النثرية ما يلي:

- رحلة جبلية صعبة (سيرة ذاتية) عكا 1985، الرحلة الأصعب عمان 1993
- وقد ترجمت أشعارها إلى مختلف اللغات العالمية الإنجليزية والفرنسية والروسية والإيطالية والفارسية وغيرها.

حازت سنة 1978م على جائزة الشعر الدولية من جمعية الثقافة المتوسطة في باليرمو بإيطاليا¹.

مختارات للشاعرة فدوى طوقان :

¹ أحمد عامر شاهين: موسوعة كتاب فلسطين في القرن 20 ط1929، 1، ص345

مع المروج

هدي فتاتك يامروج فهل عرفت صدى حطاها
عادت إليك مع الربيع الحلو ، يا مثنوى صباها
عادت إليك ولا رفيق على الدروب سوى رؤاها
فالأمس كالغد ثرة الأشواقمشبوبا هواها

ذهب الذين نحبهم

نسرا فنسرا غالبهم وحش الظلام
سرق السمو من الأماكن آه ياوطني
عليك من الدم الغالي سلام
من أجلك انفرطت عقود دمائمهم
حبات مرجان كنوز لآلى
ذهب الذين نحبهم
لاصوت للأحزان انظر
أورقت صمنا على شفتي أحزاني
وأطبقت الحروف شفاهها
تتساقط الكلمات صرعى مثلهم
جئنا مشوهة ترى ماذا أقول لهم
ومن عيني ومن قلبي تسيل دماؤهم
ذهب الذين نحبهم
رحلوا وألقت مراسيها مراكبهم ولا
مسحت حدود المرفأ النائى عيون الراحلين
أواه يا وطني الحزين .

مرثية الفارس

في احتدام الدم والنار والطغيان والجنون.
بسط الفادي نبي الحب يكفيه عليا

واققدنا

آه ما أغلى الفداء

واستترنا

آه ما أغلى الثمن

وعلى وخز مسامير الألم

وعلى حز سكاكين العياء

اسند الرأس وأرضى

هدب جفنيه ونام

وبعينييه رؤى الحب وأحلام السلام .

شهداء الانتفاضة

رسموا الطريق إلى الحياة

رصفوه بالمرجان بالمهج الفتية بالعميق

رفعوا القلوب على الأكف حجارة ،جمرا ،حريق

رجموا بها وحش الطريق

- : هذا أوان الشد فاشتدي !

ودوى صوتهم

في مسمع الدنيا وأوغل في مدى الدنيا صداه

هذا أوان الشد !

واشتدوا وماتوا واقفين

متألقين كما النجوم

متوهجين على الطريق مقبلين فم الحياة

هجم الموت وشرع فيهم منجله

في وجه الموت انتصبوا

أجمل من غابات النخل وأجمل من غلات القمح وأجمل من إشراق الصباح.

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

القرآن الكريم

المصادر والمراجع:

- 1- فدوى طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة ، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان ، ط1، 1993.
- 2- ابن رشيق القيرواني: العمدة في محاسن الشعر وآدابه، دار الكتب العلمية، بيروت ط2001، ج1، 1.
- 3- إبراهيم رماني: المدينة في الشعر العربي ، الجزائر انموذجا 1962/1925، الهيئة العامة للكتاب، مصر، ط1، 1997.
- 4- احسان عباس : فن الشعر ، دار الصادر بيروت ، دار الشروق عمان ط ، 1، 1996.
- 5- أحمد السماوي :عالم القصة في سرد طه حسين، التعااضدية للطباعة والنشر، صفاقس، تونس، 1998 .
- 6- أحمد درويش: في نقد الشعر الكلمة والمجهر، دار الشروق ، ط1، 1996 .
- 7- أحمد عامر شاهين: موسوعة كتاب فلسطين في القرن 20م ط1929، 1.
- 8- أسبير على أحمد :كلام البدايات ،دار الآداب بيروت، ط1، 1989.
- 9- أسماء شاهين : جماليات المكان في روايات جبرا ابراهيم جبرا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط1 ، 2001.
- 10- إسماعيل شموط ،وتمام :السيرة والمسيرة الفلسطينية، د ت، د ط.

- 11- أنطوان شلحت : ورقة قدمت في نطاق يوم دراسي عقدته مؤسسة الأسوار في عكا، حول الثقافة الوطنية الفلسطينية .
- 12- إبراهيم أحمد ملحم، شعرية المكان قراءة في الشعر ،مانع سعيد العتيبة، ط1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ،أريد ،الأردن ،2011 . الجرجاني على بن محمد: كتاب التعريفات، مكتبة لبنان، بيروت، دط، 1985
- 13- المنصوري جريدي: شاعرية المكان عبر ذاكرة الطفولة، قراءة في الانبهار والدهشة، لزيد مطيع ،اليمن، ط2009،1.
- 14- باديس فوغالي الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، أريد عالم الكتب الحديث، عمان، الأردن ،ط1 2008.
- 15- بدوي عبد الرحمان :مدخل جديد إلى الفلسفة ،وكالة المطبوعات ،الكويت ،د،ط 1979، .
- 16- بدوي عبد الرحمان موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر.ط1.ج2 1984هـ .
- 17- بركة الأخضر : الريف في الشعر العربي الحديث ، قراءة في شعرية المكان ، دار المغرب للنشر والتوزيع الجزائر ط1 ،2002.
- 18- بليهد أحمد سعود : جماليات المكان في الرواية،السعودية، دار الكفاح لطباعة والنشر، الدمان، السعودية، 2008.
- 19- جريد سليم منصوري: شاعرية المكان، جدة مطابع شركة دار العلم للطباعة والنشر، 1992 .
- 20- جيارر جنيت وآخرون: الفضاء الروائي تر،عبد الرحيم حزل، افريقيا الشرق ،الدار البيضاء ،ط1، 2002.

- 21- حاتم الصكر واعتدال عثمان : الشعر ومتغيرات المرحلة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1 سنة، 1989 .
- 22- حسن نجمي: شعرية القضاء السردي، المركز الثقافي، الدار البيضاء، ط1، 2000.
- 23- حسين خالد حسين : شعرية المكان في الرواية الجديدة مؤسسة اليمامة الصحفية، الرياض 2000.
- 24- حسين فهد، المكان في الرواية البحرية فراديس للنشر والتوزيع البحرية، ط1 ، 2003.
- 25- حسين نصار: في الشعر العربي، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط1، 2001.
- 26- حميد الحميداني: بنية النص السردي من منظور النقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان- ط2000، 3 .
- 27- حنان محمد موسى: حمودة الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب العالم الحديث جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط2007، 1.
- 28- حسن بحرأوي ،:بنية الشكل الروائي ،الفضاء، الزمن،الشخصية ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ، بيروت ، ط1، 1990.
- 29- حسن مجيد العبيدي: نظرية المكان في فلسفة ابن سينا، دار شؤون الثقافة العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد-العراق-، ط1، 1987.
- 30- رولان بورونوف :عالم الرواية، تر، فؤاد تكرلي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1991، 1م .
- 31- زايد عبد الصمد: المكان في الرواية العربية "الصورة والدلالة"، ط1 ، دار محمد للنشر، تونس ، 2003.
- 32- كتيبة ربيب : جماليات الزمان والمكان في شعر عز الدين مناصرة ، ط1، الصايل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن 2015م،

- 33- كامل السوافيري : الأدب العربي المعاصر في فلسطين 1860-1960، دار المعارف 1119 ، كورنيش النيل القاهرة، ج، م .ع.
- 34- كمال نجم الدين: المكان في النص الشعري، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
- 35- محمد السيد إسماعيل : بناء فضاء المكان في القصة العربية القصيرة ، نقد الإمارات الشارقة، دار الثقافة والإعلام ،2002.
- 36- مصطفى الكيلاني: الرواية والتأويل، سردية الرواية في الرواية العربية، أزمنة للنشر والتوزيع ،عمان الأردن، ط 1 2009.
- 37- محمد علي عبد المعطي: قضايا الفلسفة العامة ومباحثها: دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، د، ط 1989.
- 38- محمد عمارة: المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية، دار الشروق، ط2، القاهرة مصر 1988.
- 39- محمد عويد السايير الطربولي المكان في الشعر الأندلسي في عصر المرابطين في نهاية الحكم العربي(484هـ -897) ، ، مكتبة الثقافية الدينية القاهرة ،2005.
- 40- محمود درويش : الأعمال النثرية ، بيروت ، دار رياض، ط2، 2004م .
- 41- نوري حمودي القيسي: الطبيعة في الشعر الجاهلي، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع سنة 1998 .
- 42- عابد أمل مفرج: المكان في الشعر الجاهلي، الأردن، جامعة مؤتة ،1994 .
- 43- عبد المالك مرتاض: القصة الجزائرية المعاصرة، دار المغرب للنشر والتوزيع الجزائر، ط2007، 4.
- 44- عبيدي مهدي: جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه ، الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط2011، 1.
- 45- عز الدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، دار العودة ، د ط ،بيروت دت .

- 46- على عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، 1997.
- 47- علي بن سلطان محمد القاري، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة، دار الفكر، محاضرة الكامل في الكتاب، المناصرة، عز الدين، جمرة النص الشعري ط2، مجدلاوي، عمان، 2007م.
- 48- نقلا عن عز الدين المناصرة،، الهويات والتعددية اللغوية، عمان دار مجدلاوي، ط1، 2004م.
- 49- غاستون باشلار: جدلية الزمن، ترجمة أحمد خليل، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط3، 1992.
- 50- غاستون باشلار: جماليات المكان، ترغالب هلسا، المؤسسة الجامعية لدار النشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1987.
- 51- غريد الشيخ: فدوى طوقان شعر والتزام، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت،- لبنان.
- 52- فاروق أحمد سليم: الانتماء في الشعر الجاهلي، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د، ط، 1998.
- 53- فوزي عطوي: الفارابي فيلسوف المدينة الفاضلة، دار الفكر العربي، ط1، بيروت- لبنان، 2002.
- 54- سعدي أبو شاور: الاتجاه الوطني في الشعر الفلسطيني المعاصر، ط1 2003 دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان.
- 55- سعيد إدوارد: الثقافة والإمبريالية تر كمال أبو ديب، دار الأدب، بيروت ط2، 1988.
- 56- سيزا قاسم و آخرون جماليات المكان، مجموعة الباحثين مطبعة دار قرطبة عيون مقالات للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1981.

- 57- سيزا قاسم : بناء الرواية دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ د ط ، 1984
- 58- شاعر النابلسي : مجنون التراب، دراسة في شعر وفكر محمود درويش، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، سنة 1984 .
- 59- النابلسي، شاعر، جماليات المكان في الرواية العربية للدراسات والنشر، ط1، 1994
- 60- ياسين نصير الرواية والمكان دراسة في فن الرواية العراقية ج2/16 دار الحرية للطباعة بغداد .

الرسائل العلمية

- 1- اوريدة عبود : المكان في القصة الجزائرية الثورية، رسالة ماجستير، كلية الآداب واللغات.
- 2- الرشيدى بدر نايف: صورة المكان الفنية في شعر احمد السقاف، رسالة ماجستير، كلية الأدب والعلوم بإشراف عبد الرؤوف ، 2011 .
- 3- باحشوان سلمى : المكان في شعر طاهر وطار، رسالة ماجستير، جامعة عبدالمالك عبد العزيز، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية ، 2008 .
- 3- جمال مجناح: دلالات المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ، 1970، رسالة دكتوراء، جامعه ، مسيلة، 2008
- 4- جيهان عوض ابو العمرين ، جماليات المكان في الشعر تميم البرعوثي ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغة العربية 2014.
- 5- خرفي محمد صالح :جماليات المكان في الشعر الجزائري (أطروحة دكتوراه) ،جامعة منتوري، قسنطينة ،الجزائر بإشراف يحيى الشيخ صالح ، 2005-2006
- 6- مها حسن يوسف عوض ، المكان في الرواية الفلسطينية 1948/1988 ، رسالة ماجستير، مخطوطة ،جامعة اليرموك ،الأزون ، 1991

7- مها حسن يوسف عوض ، المكان في الرواية الفلسطينية 1948/1988 ،رسالة

ماجستير، مخطوطة ،جامعة اليرموك ،الأزون ،1991.

8-نصيرة زوزو : بنية الفضاء في روايات الأعرج وسيني ، رسالة مقدمة لنيل شهادة

الدكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة ،2010.

المجلات و المقالات :

1. أنطوني كينغ : مقالات في الثقافة والعولمة والنظام العالمي، تر: شهرت العالم

وهالة فؤاد ومحمد يحيى، القاهرة والمجلس

2. أبو بشير بسام علي: جماليات المكان في رواية باب الساحة لسحر خليفة ،مجلة

الجامعة الإسلامية ،جامعة الأقصى ،غزة فلسطين ،المجلد ،18 العدد الثاني .

3-أحمد مداس: النص المصاحب وصناعة التوقع، قراءة في شعر فدوى طوقان،

مجلة المخبر، العدد الأول، 2009.

4- الرشيدى بدر نايف: صورة المكان الفنية في شعر أحمد السقاف، رسالة ماجستير،

كلية الأدب والعلوم بإشراف عبد الرؤوف ،2011 .

5-جاسم علي متعب ،منى شقيق: فاعلية المكان في الصورة الشعرية ، سيفيات المتنبي

انموذجا، مجلة ديالي، العراق ، العدد 40 ،2009.

6--حسين قصي: تشظي السكون في العمل الفني ، مجلة الفكر العربي ،1198، ع

92، بيروت -لبنان-

7-حسين محمود : بناء المكان في سداسية الأيام الستة ، مجلة علامات النادي الأدبي

بجدة .م.ج.10 ع34 ،شعبان 1420هـ.

- 8--حمادي صبري مسلم: دلالة البعدين المكاني والزمني، مقالة نقدية ضمن الموقع اليمني، السبت 2 فبراير.
- 9-محمد فتحي الأعصر، دلالة لمكان في الشعر الأموي، مجلة الكوفة، العدد 11، 2017.
- 10 -محمد شوابكة : دلالة المكان في مدن الملح لعبد الرحمن منيف، مجلة أبحاث اليرموك، ع2، 1984.
- 11- نبوي أحمد سيد : جماليات المكان عند ابن خفاجة الأندلسي، مقالة ضمن مجلة الفكر والإبداع، السعودية .
- 12- صلاح عبد الله زيد : جماليات المكان في شعر حسن الشرقي، مقالة عن التناس والتلقي د ماجد جعافرة .
- 13- عتيق عمر: إشراقات أسلوبية في مجموعة حلوى الماء لانتصار عباس ،مجلة الأفكار
- 14--عثمان اعتدال : المكان في الشعر العربي ،مجلة الأقلام من بحوث مهرجان المرید الشعري السادس 1996.
- ر، وزارة الثقافة الأردنية، العدد 244 .
- 15 - فيصل دراج : تهجير الإنسان وما تكشفه الكاميرا ،"جريدة الحياة"، العدد، 12 تموز 2011
- 16- فرديس الفرابي : مجلة اللغة العربية وآدابها عملية محكمة العدد الأول السنة 1439/14هـ.

- 17- شلاش غيداء أحمد سعدون: المكان والمصطلحات المقاربة له دراسة مفهوماتية ،مجلة الابحاث ، كلية التربية الأساسية ،بغداد، المجلد 11 (العدد2)2011.
- 18 - يوري لوتمان : مشكلة المكان الفني تر سيزا قاسم نقلا عن جمال الدين حافظ محمد ،شعرية المكان والزمان مجلة علامات ،2004 ج52،م13 النادي الأدبي الثقافي جدة.
- 19 - يوري لوتمان: مشكلة المكان الفني: ترجمة سيزا قاسم ،مجلة ألف الصادرة عن الجامعة الأمريكية، القاهرة ،1986.
- 20- يحي فرحات: دلالة المكان في رواية قنديل الليلي المعتمة ،مقالة في جريدة الأسبوع الأدبي ،صادرة عن إتحاد كتاب العرب، دمشق ،العدد 926.
- 21- نقلا عن أسلوب التكرارين تنظير البلاغيين وإبداع الشعراء .شفيح السيد، مجلة إبداع ،العدد 6، السنة 2، يونيو 1984 .
- 22- ياسين النصير، البنية المكانية في القصيدة الحديثة ، مجلة الآداب ، بيروت ،ع1-3 1986 .

المعاجم و القواميس:

- 1- ابن منظور: لسان العرب دار صادر بيروت،ج13، د.ط 1997 .
- 2- أنطوان نعمة وآخرون :المنجد في اللغة العربية المعاصرة(مادة، مكن)، دار المشرق بيروت لبنان ط1، 2000 .
- 3- الرازي محمد بن ابي بكر: مختار الصحاح، تخريج وتعليق مصطفى ديب البغا، ط2، اليمامة للطباعة والنشر ،السعودية ،1987.
- 4- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، الشركة العالمية للكتاب ، مكتبة المدرسة، دار الكتاب العالمي ، لبنان،1999.

5- محمد العاطف العراقي: الفلسفة الطبيعية عند ابن سينا، در المعارف، ط2، القاهرة، مصر 2002.

6- السيد محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس، دار الصادر، ج9، بيروت - لبنان - العلامة اللغويّ مجد الدين محمد بين يعقوب الفيروز آبادي، قاموس المحيط، دار الصادر بيروت لبنان للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الثامنة.

المواقع الالكترونية

1- الرابط : <http://www.yemenuaeriean.com/show.php?yid> .

فهرس المحتويات

	إهداء
	شكر و عرفان
أ - د	مقدمة
6	مدخل: المكان في الشعر الفلسطيني المعاصر
الفصل الأول : ماهية المكان و حضوره في النص الشعري	
11	مفهوم المكان لغة واصطلاحا
14	المفهوم الفلسفي
17	المفهوم النقدي للمكان
20	المفهوم الأدبي للمكان
22	أهمية المكان في العمل الفني
27	جدلية المكان والزمان
29	المكان والهوية
33	شعرية المكان
35	مستويات المكان
35	أولا : المكان المفتوح
38	ثانيا: المكان المغلق
39	أبعاد المكان

39	البعد النفسي الاجتماعي
44	البعد السياسي الوطني
46	البعد التاريخي والديني
48	دلالات المكان
48	أولاً: الدلالة الدينية
49	ثانياً: الدلالة التاريخية
50	ثالثاً: الدلالة الواقعية
50	بنية المكان
	الفصل الثاني: تجليات المكان في شعر فدوى طوقان
55	الأماكن المغلقة والأماكن المفتوحة
55	تمهيد
55	الأماكن المفتوحة
55	المدينة
57	مدينة طوباس
58	مدينة يافا
59	القدس
60	القرية

61	الطريق - الدرب
61	الجسر
62	النهر
65	الجبيل
71	الصحراء
66	الضفتان
67	الأماكن المغلقة
67	البيت / الدار
69	السجن
70	القبر
71	الحانة
72	المدرسة
73	أبعاد المكان
73	البعد النفسي والاجتماعي للمكان
77	البعد الوطني السياسي
81	البعد التاريخي والديني
83	ملامح المكان في شعر فدوى طوقان

فهرس المحتويات

85	/المكان/ الظل
98	المكان وخلفياته التراثية
88	المكان وعلاقته باللغة الشعرية
93	المعجم الشعري ودوره في بلاغة المكان
96	خاتمة
99	ملاحق
106	قائمة المراجع
	فهرس المحتويات

ملخص :

أثر المكان في تجربة الشعراء الفلسطينيين وأخذ موقفا فاعلا ومؤثرا باعتباره جزءا من الهوية والانتماء للأرض، ووراء التجربة تؤسس الشاعرة فدوى طوقان علاقة خاصة مع المكان، فتصر على تسمية الأماكن لتمنح تجربتها ما تستحق من خصوصية من جهة، ولتتير أصالة تجربتها من جهة أخرى، ومنه فإن دراسة المكان في ديوان الليل والفرسان تركز الحديث فيها عن مفهوم المكان وأهميته ودلالاته وأبعاده ومستوياته ... في الفصل الأول أما الفصل الثاني عبارة عن دراسة تطبيقية للديوان.

الكلمات المفتاحية: المكان - الشعر - شعرية المكان - فدوى طوقان.

Résumé:

L'impact de la place dans l'expérience des poètes palestiniens et de prendre une position active et influente dans le cadre de l'identité et l'appartenance à la terre, et derrière l'expérience de la poétesse Fadwa une relation spéciale avec le lieu, insistant sur la désignation des lieux pour donner à son expérience ce qui est digne d'intimité d'une part et de mettre en lumière l'originalité de son expérience de l'autre, y compris L'étude de la place dans le Diwan de la nuit et les Chevaliers se concentrent sur le concept du lieu et son importance et ses implications et dimensions et niveaux ... Dans le chapitre I, le deuxième chapitre est une étude empirique du Cabinet.

Mots-clés: Place 'poésie ' Place treillis ' Fadwa Toukan.